

من روائع الأدب العالمي للناشئين

# أرواح شريرة

تأليف: هنري جيمس

ترجمة: الشريف خاطر

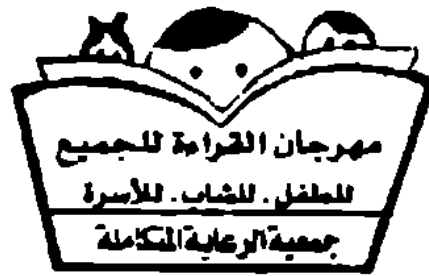




أرواح شريرة







**مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤**

**مكتبة الأسرة**

**برعاية السيدة سوزان مبارك**

**( سلسلة الأدب العالمى للناشئين )**

**إشراف : نادية مصطفى**

**الجهات المشاركة :**

**جمعية الرعاية المتكاملة المركزية**

**وزارة الثقافة**

**وزارة الإعلام**

**وزارة التربية والتعليم**

**وزارة التنمية المحلية**

**وزارة الشباب**

**التنفيذ : هيئة الكتاب**

**أرواح شريفة**

**رونالد جون**

**الغلاف والإشراف الفنى :**

**للغنان : محمود الهندى**

**الإخراج الفنى والتنفيذ:**

**صبرى عبد الواحد**

**الإشراف الطباعى:**

**محمود عبد المجيد**

**المشرف العام :**

**د . سمير سرحان**

# السيدة التي جعلت من الكتاب وطنًا !

د. سمير سرحان

مرت عشر سنوات منذ إنشاء «مكتبة الأسرة» وأذكر أنه كان يومًا مشهودًا، حين جلسنا مع عدد من المثقفين والوزراء والمفكرين حول تلك السيدة العظيمة التي كانت عيناها تشخص إلى السماء حيث أحلام كثيرة تدور بذهنها الذي لا يتوقف عن التفكير أبدًا.

كانت منذ سنوات قد أنهت رسالتها من الماجستير، التي كان من نتائجها ضرورة إصلاح أحوال المدارس الابتدائية، ورفع مستواها العلمى والتعليمى، وحتى مستوى الأبنية والخدمات.. فكان الأساس فى ذهنها، كما أدركت بعد ذلك معظم الدول الكبرى أن العملية التعليمية هى أهم ما يميز الأوطان، وأن الطفل الذى يمثل البذرة الأولى فى بناء مستقبل أى وطن هو البداية الحقيقية، كنا نتعجب جميعًا فى صمت ونحن جالسون

حول تلك المائدة الصغيرة.. لماذا لم يفكر أحد من قبل فى الطفل، ولا أعنى صحته فقط، أو ما قد يصيبه من أمراض، أو مستوياته الاقتصادية والاجتماعية.. لماذا لم يفكر أحد فى الطفل الإنسان؟ أى فى عقل الطفل ووجدانه، والانطباعات المختلفة، التى يكتسبها من عملية التعلم، وبخاصة من القراءة الحرة، وليس قراءة الكتب المدرسية فقط.

وكان الطفل المصرى فى ذلك الوقت معتاداً أن يمسك بالكتاب المدرسى ويصب عليه كل ما فى طاquته من كره وسخط، ويحفظه حفظاً آلياً بلا فهم، ويُفَرِّغ هذا الفهم على الورق لينجح وينتقل من سنة دراسية إلى أخرى، أما فى آخر السنة فكانت العادة أن يرمى الكتاب المدرسى من النافذة، كأنه قد تخلص من عبء ثقيل.

كانت السيدة العظيمة، التى قُدِّر لها أن تعنى بمستقبل مصر، وأن تكرر حياتها لبناء هذا المستقبل، تفكر فى الطفل كإنسان، وكعقل، وكروح... لقد اكتشفت أن كل ذلك لا يأتى إلا بالقراءة، والقراءة خارج المقرر الدراسى، كما لا يأتى أيضاً إلا من خلال كتاب يوضع فى يده ليحبه شكلاً ومضموناً، ويحتضنه فى سريريه وهو نائم، ويطلق من خلال المادة التى يقرأها فيه، العنان لخياله، فيسافر من خلال هذا الكتاب إلى عالم سحرى من الأماكن والأفكار والمشاعر والرؤى.



لمعت العينان الذكيتان بعمق الفكرة، وأهميتها لوطن يبنى نفسه ويضع نفسه على مشارف القرن الحادى والعشرين، وبعد أربع سنوات من افتتاح المكتبات العامة فى الأحياء الفقيرة والمعدمة، كانت الفكرة الرائدة قد اكتملت فى ذهنها فأصبحت سوزان مبارك صاحبة أعظم مشروع ثقافى فى القرن العشرين وأوائل الحادى والعشرين.. «مكتبة الأسرة».

وكانت فكرة مكتبة الأسرة بسيطة وعميقة فى نفس الوقت، وهى أن نقوم بغرس عادة القراءة فى نفوس ملايين أبناء الشعب الذين لم يكن الكتاب من قبل جزءاً من حياتهم.. وأعتقد أن هذا الهدف قد نجح تماماً، فقد كان بعض من يسخرون من الشعب المصرى، محاولين الحط من قدره يصفونه بأنه شعب الفول والطعمية، وأعتقد أنه الآن وبعد عشر سنوات من صدور مكتبة الأسرة، أصبحوا يسمونه بلا تردد شعب الكتاب والقراءة والعلم والمعرفة.. لكن الهدف الأعظم والأسمى كان إعادة بعث التراث الأدبى والفكرى والعلمى والإبداعى الحديث لهذه الأمة، وهذا يؤكد بالفعل لا بالكلام ريادتها وقيادتها الثقافية والفكرية فى عالمنا العربى، كما يؤكد عظمة ما جاء به عصر التنوير المصرى لينقل العالم العربى كله من عصور الظلام المملوكية والاستعمارية إلى شعوب تعيش عصر العلم والتقدم، وتبنى شخصيتها الثقافية وحضورها الثقافى على مدى العالم..

وها قد أصبحت مكتبة الأسرة بعد عشر سنوات من  
الجهد المضنى والمتواصل تقدم أكثر من عشرة ملايين كتاب  
موجودة الآن فى كل بيت مصرى، تحمل صورة السيدة التى  
فكرت ونفذت هذه الذخيرة من الفكر والإبداع التى تثرى عقل  
ووجدان كل مواطن طِفلاً كان أم شاباً، ليس فى مصر فقط،  
وإنما فى العالم العربى كله.. وأصبحت المادة التى تضمها هذه  
الكتب هى أساس راسخ لتكوين مواطن المستقبل، وأصبحت  
معظم الدول العربية والمؤسسات الدولية تطلب تطبيق التجربة  
المصرية على أرضها.

هل كان مجرد حلم لسيدة عظيمة شخصت بنظرها إلى  
السماء باحثة عن المستحيل، أم كان مجرد حلم رائع، هائل  
القيمة والحجم وتحقق.. تحية لهذه السيدة العظيمة «سوزان  
مبارك»، واحتراماً وحباً بلا حدود على قدرتها لتبجيل  
المستقبل، وبناء إنسان جديد لوطن جديد.

وستظل صورة السيدة سوزان مبارك موجودة على كل  
كتاب، وفى كل بيت تُذكر كل مصرى أن الحلم الحقيقى ليس  
بالمال، وليس بالتهافت على الماديات، إنما هو «المعرفة» وبدون  
معرفة فى هذا العصر لا يوجد وطن، وإذا فقد الإنسان الوطن  
فقد ذاته.. بل فقد كل شئ يربطه بهذه الحياة.

**د. سمير سرحان**

## المؤلف

---

ولد « هنرى جيمس » سنة ١٨٤٣ ومات سنة ١٩١٦  
• • وهو يعتبر من أشهر الروائيين الأمريكيين • فى شبابه  
درس القانون فى جامعة « هارفارد » ولكنه كان يهوى  
الأدب وبرع فيه ووهبه حياته كلها •

وبعد أن بلغ الثلاثين انتقل الى أوربا وعاش فى  
انجلترا التى كان يحبها • وفى سنة ١٩١٥ تجنس  
بالجنسية البريطانية تعاطفا منه مع الانجليز اثناء الحرب  
العالمية الأولى •

وقد تعرف « هنرى جيمس » على كبار الأدباء  
والروائيين الاوربيين واستوعب انتاجهم الأدبى ...  
خصوصا فلوبير ، وجى دى موباسان ، واميل زولا ،  
وايفان تورجنيف .

وفى كثير من الأعمال الأدبية « لهنرى جيمس »  
نرى موضوعا متكررا يعرض فيه أوجه المقارنة بين أوربا  
ذات الحضارة الراسخة العريقة بين امريكا ذات الحضارة  
الوليدة الفجة .

وفى كثير من أعماله الأدبية الأخرى نراه ينتهج  
نهجا موضوعيا واقعيا فى تحليل الشخصيات الروائية  
والقصصية ويتعمق فى دراسة الدوافع الخفية التى تؤثر  
فى أفعال وتصرفات هذه الشخصيات .

ويقول دارسو الأدب العالمى ونقاده ، أن « هنرى  
جيمس » يعتبر استاذا قديرا فى فن الصياغة والحبكة  
والصناعة الفنية ، وهى السمات التى تبدو جليلة فى جميع  
أعماله الروائية والمسرحية والقصصية .

وقد بدأت شهرة « هنرى جيمس » براويته المعروفة

« ديزى ميلر » التى كتبها سنة ١٨٧٨ ، وحازت شهرة واسعة لفتت اليه الانظار . فكتب بعدها رواية شهيرة أخرى هى « ميدان واشنطن » التى نشرها عام ١٨٨١ . وفى نفس العام أيضا نشر رواية « صورة سيدة » .

ومن رواياته الأخرى التى حازت شهرة واسعة فى كل من أوربا وأمريكا : « ما عرفته ميزى » سنة ١٨٩٧ . « وجناحا الحمامة » سنة ١٩٠٢ . و « السفراء » سنة ١٩٠٣ . و « الاناء الذهبى » سنة ١٩٠٤ .

أما رواية « أرواح شريرة » التى نقدمها فى هذه السلسلة من « روائع الأدب العالمى للناشئين » فقد لاقت نجاحا كبيرا فى كل من أمريكا وأوربا ، وترجمت الى عدة لغات منها اللغة العربية .

وكتب « هنرى جيمس » أيضا عدة مسرحيات نشرت بعد موته . كما كتب العديد من الدراسات الأدبية والدراسات النقدية ، أشهرها دراسة عن « فن القصة » نشرها عام ١٨٨٤ .

« المراجع »



## قبل أن تبدأ القصة

ذات ليلة من ليالى أعياد الميلاد ، كنا جالسين حول المدفأة نكي قصصا عن الأرواح . واستمعنا الى حكاية أو حكايتين عن الأرواح الصغيرة غير المؤذية التى تظهر للناس من وقت لآخر ، لكنها لا تتدخل فى شئونهم . . . وسمعنا كذلك بعضا من تلك الحكايات المخيفة عن انواع اخرى من الأرواح الشريرة المؤذية . وقص علينا جورج حكاية من تلك الحكايات . وبعدها ساد صمت لفترة وجيزة .

علقت قائلا : اعتقد ان ذلك الشخص ، قد عاش حياة

شريرة ، وعندما مات لم تستطع روحه أن تستريح في  
سلام .

فوالهنتي جورج قائلا : « هذا النوع من الأرواح يعود  
للحياة لينشر الأذى بين الناس ويتسبب في وفاتهم » .

فقال جريفيين : « لكن ليس من السهل بالنسبة لها أن  
تفعل ذلك . كما أنه ليس متاحا لكثير من الناس أن تتصل  
بالأرواح الشريرة . فلابد أن تكون انسانا ذا حساسية  
خاصة . وما زال لدى القليل من الناس تلك القدرة على  
رؤيتهم رأى العين . واعتقد أن الروح تتمنى أن تظهر في  
هيئة انسانية ليتعرف عليها الناس في شكلها المألوف » .

قال جورج : « ليس هذا كل شيء ، فالروح لا تستطيع  
أن تعتمد على امكانية الكلام ، ومن ثم فهي تفصح عن  
رغباتها بطرق أخرى . فمن الممكن أن تظهر على هيئة  
شخص ، أو ربما تتسلل بهدوء خلال أفكار الانسان . لكن  
مهما يكن الشكل الذي تظهر به الروح ، فهي تحتاج الى  
نوع من الترحيب الوجداني ، حتى تحقق النجاح .  
وبطبيعة الحال ، فإن الأعمال الخيرة هي الدفاع الأكيد



ضد أى روح شريرة ، والتي تعد بمثابة سلاح لاتستطيع  
مقاومته » .

وساد الصمت بيننا ثانية لفترة قصيرة . فقد كنا  
جميعا نفكر فى قصة جورج . فقد قيل انها حدثت حقيقة ،  
مما جعلنا نكتم انفاسنا لمدة عشرين دقيقة . وقال احدنا  
انه لم يسمع من قبل ابدا أن روحا شريرة ظهرت لطفل .

قال دوجلاس : « ذلك بالتأكيد يجعل الأمر أكثر سوءا  
لكمه حدث من قبل . فربما يكون للأطفال بصفة خاصة  
حساسية شديدة لمثل هذا النوع من الاثارة والخطر . ولو  
كان الطفل يضيف على القصة تأثيرا بالغا ، وكأنه نوع من  
المبالغة ، فما رأيكم اذا كان هناك طفلان ٩٠٠٠ »

اجاب واحد منا : « نقول ان طفلين بالطبع يضاعفان  
من المبالغة فى التأثير . ونحن نريد أن نسمع حكايتهما » .

نهض دوجلاس واقفا وظهره للمدقاة وتطلع الينا  
وقال :

« لا أحد غيركم سمع هذه الحكاية ابدا . حكاية  
مربعة . تفوق التصور »

— « هل تقصد بذلك أنها ستخيفنا ؟ »

— « انها ليست بمثل هذه البساطة . وحقيقة انا  
لا أستطيع أن أشرح . فسوف تجبركم على التفكير .  
والتخيل ..... »

فصاحت إحدى السيدات : « آوه ، رائع ! »

قلت : « حسن أذن ، فلنجلس وتبدأ » .

— « لا أستطيع أن ابدا . فالقصة مدونة ، وأنا لم  
أحضرها معي ، هي في درج حلق بشقتي وينبغي على أن  
أرسل لأحضارها . لم ألق عليها نظرة منذ عدة سنوات .  
أصبنا جميعا بالأحباط عندما قال ذلك . »

فواصل كلامه : « سأكتب الى خادمسى وأبعث اليه  
بمفتاح الدرج . . وبإمكانه أن يرسلها الينا بمجرد أن  
يجدها » .

قلت : « أرجوك الفعل . وسوف نستمع الى القصة قبل نهاية الاجازة . . هل هي تجربة خاصة بك ؟ » .

— اوه ، كلا ، والحمد لله !

— « هل هي من تأليفك ؟ هل انت الذى كتبتها ؟ » .

فريت على قلبه وقال : « كلا . . لكن المخوف والقبح والالام لهذه القصة يكمن هنا . لم أستطيع نسيانها أبدا . » .

— « لكن النسخة . . . ؟ »

— « النسخة مكتوبة بحبر باهت قديم بخط غاية فى الجمال » .

وتردد للحظة وقال : « خط امرأة . لقد ماتت منذ عشرين عاما . وارسلت الى الأوراق قبل أن تموت » .

كان جميعنا ينصت له فى تلك اللحظة ، وبالطبع سألته احدى السيدات عما اذا كان قد وقع فى حبها .

لم يجب دوجلاس . لكنه قال : « كانت افسانة فائنة للغاية ، لكنها كانت تكبرنى بعشر سنوات . كانت مربية أختى » .

ثم قال بهدوء : « كانت الطف انسانة عرفتھا كمریبة ،  
كان ذلك منذ فترة طويلة وحدثت لها هذه التجربة المرعبة ،  
قبل ذلك بفترة طويلة . كنت وقتها طالبا في الجامعة ،  
وقابلتها في بيت اختي عندما ذهبت لزيارتها في الصيف .  
كان صيفا جميلا وتمتعت فيه بشيء من الحديث معها  
والنزھات في الحديقة . . . اه ، اجل ، ليست بكم حاجة الى  
الضحك . فلقد اعجبت بها كثيرا جدا ، وانا ما زلت سعيدا  
حتى الآن لاهتقادی انها اعجبت بي ايضا . فلو لم تكن  
كذلك لما روت لي القصة . فهي لم تقلها لای احد على  
الاطلاق ، ليس لأنها قالت ذلك ، بل لأنني كنت أعرف انها لم  
تقلها لأحد . . . كنت متأكدا من ذلك . وسوف تكتشفون  
السبب في ذلك بسهولة عندما تسمعون القصة » .

سألته : « اكان ذلك بسبب الأشياء التي أخافتها  
كثيرا ؟ »

نظر الى دوجلاس مباشرة وقال : « سوف تكتشف  
ذلك بسهولة » .

ثم ردد قائلا : « انت ، ستكتشف ذلك بنفسك اذا لم  
يفعل ای انسان آخر ؟ » .

ـ « فهمت ، كانت تحب » .

ضمك ثم قال : « انت ماهر ، أجل ، كانت تصب ،  
اعنى لقد كانت تحب » . اكتشفت ذلك ايضا ، فلم تكن  
لتستطيع ان تحكى القصة دون ان قبوح بسرها ، وانا  
عرفته ، وكانت هى تعرف اننى اعرفه ، لكن لم يتحدث  
احد منا الى الآخر بخصوص ذلك » .

قلت : « سوف تتسلم الطرد صباح يوم الخميس » .

ـ « أجل ، محتمل » .

ـ « ابن ، فيعد العشاء يوم الخميس يمكنك ... !

فقل دوجلاس : « ساقراها لكم » .

سالت احدى السيدات : « من الذى كانت تحبه ؟ »

فاجبت انا : « سنعرف ذلك من القصة » .

ـ « اوه ، لكننى لا أستطيع التتظار القصة ! »

قال دوجلاس : « لن تكشف القصة عن ذلك ، على

الأقل ليس بالطريقة المعهودة » .

ـ « هذا ظلم . فهذه الطريقة الوحيدة التي أفهم بها » .

وتسأل شخص آخر : « إنن لن نقول لنا يادوجلاس ،

ـ « أجل .. غدا .. الآن ينبغي ان اذهب الى الفراش . ليلة طيبة ، !

وتركتنا فجأة .

وما ان سمعنا خطواته على السلم ، حتى قالت السيدة جريفيث :

ـ « في الحقيقة ، انا لا أعرف من الذي كانت تحبه ، لكنني أعرف انه كان يحبها .. !

فقال زوجها : « لقد كانت تكبره بعشرة أعوام . »

ـ « مازال ذلك سببا معقولا .. في سنه هذه ! لكن صمته الطويل شيء لطيف جدا اليس كذلك ؟

قال جريفيث : « أرىمون عاما ! »

قلت : « غدا مساء سوف نستمع الى المزيد عن

**القصة ، وبعد ذلك نستمتع الى القصة باكملها يوم  
الخميس .**

**بعد ذلك القى كل منا على الآخر تحية المساء وذهبنا  
للغراش .**

**فى اليوم التالى علمت ان رسالته التى بها المفتاح ،  
قد ارسلت على عنوانه فى لندن فى بريد الصباح . وتركناه  
وحيدا الى مابعد العشاء ، بعد ذلك كنا مشوقين لسماع  
المزيد عن القصة . وكان هو على استعداد تام ليواصل  
تقديمه للقصة . قال ، انه لابد حقيقة من ضرورة قول  
بعض الكلمات القليلة اذا كان لنا ان نفهم القصة بشكل  
مناسب .**

**قال دوجلاس : ان النسخة الخطية التى كتبتها  
صديقتى تبدأ بعد فترة قصيرة من التمهيدات الأولية التى  
قمنا بها . وينبغى عليكم ان تعرفوا بالضبط ماذا كانت  
هذه التمهيدات .**

**كانت الابنة الصغرى من عدة بنات لأب فقير يعمل  
قسيسا فى الريف ، وفى سن العشرين تحتم عليها ان**

تكمب قوتها بنفسها • فقررت أن تصبح مربية أطفال ،  
وسرعان ما قرأت اعلانا يناسبها في أحد الجرائد اللندنية  
فكتبت اليه وتلفت روا بدعوتها لمقابلة صاحب الاعلان في  
بيته بشارع هارلى •

» وهكذا سافرت الى لندن وتوجهت مباشرة الى  
شارع هارلى • وبهرها حجم البيت وجماله • • لكن ليس  
ليس أكثر من صاحب البيت الشاب نفسه • فلم تكن تلك  
الفتاة الريفية المرتبكة قد رأت رجلا أبدا طوال حياتها ،  
الا في أحلامها • كان مظهره رائعا جسورا ، لطيفا ، مرحا  
وعطوفا • كان شابا ، وغير متزوج :

» لكن الشيء الذى أعجبها كثيرا فيه ، هو أنه التمس  
منها أن تقبل العمل من أجل خاطره • وقال انه سيكون في  
منتهى الامتنان لو أنها ساعدته • واعتقد انه كان لطلبه  
هذا اثر كبير في الشجاعة التى أظهرتها فيما بعد •

» تبين لها أنه ثرى • فملابسه الفخمة ، على الأقل  
تدل على ذلك ، كما أن البيت الفخم يثبت أنه ينفق مبالغ



كبيرة • لم يطلب منها أن تبقى في لندن ، بل تمنى لو أنها تذهب في الحال الى بيته الريفي الذي يبعد سبعين ميلا •

• أخبرها بأنه وصلى على ابن وابنة أخيه الصغيرين اللذين مات عنها والداهما في الهند • وصرح لها بأنه ليس من تلك الصنف من الرجال ، الذي يستطيع أن يكون مسئولا عن اطفال • خاصة وأنه ليس متزوجا وليست لديه خبرة باحتياجاتهم ، ولا الصبر الكافي لذلك • ولاشك ان كل ذلك كان يسبب له ارتباكا كبيرا ، مما جعله يقع في اخطاء كثيرة • لكنه كان يشعر تجاههما بعطف كبير ويبذل أقصى ما في وسعه • ولهذا فقد أرسلهما الى بيته الريفي ، لأن الريف كان أنسب مكان لهما • وأرسل معهما أفضل من استطاع الاستعانة بهم لرعايتهما ، بالإضافة الى بعض خدمه الخصوصيين • وكان يزور المكان عندما تسمح له الظروف ليرى كيف يسير حالهما •

• الصعوبة الكبرى كانت تكمن في عدم وجود اقارب آخرين ، كما أن أعماله الخاصة كانت تستغرق كل وقته • لكن منزله الريفي في « بلاي » كان أفضل وأصح مكان ،

خاصة مع وجود السيدة « جروز » مديرة البيت هناك ،  
وهي سيدة ممتازة ، كانت خادمة أمه من قبل . بالإضافة  
الى عدد من الناس يقومون بالمعاونة ، لكن بطبيعة الحال  
ستكون الفتاة التي ستذهب الى هناك بمثابة مربية  
للأطفال ، هي المشرقة على كل شئون البيت .

« كان واجبها الأساس يكمن فى رعاية البنت  
الصغيرة .

وكذلك رعاية الصبى الصغير أيام الاجازات . وكان  
هذا الصبى فى مدرسة نائية منذ عدة شهور ، ولسوف  
يعود الى البيت خلال اسبوع او عندما تبدأ الاجازة .  
كان لدى الطفلين مربية قبل ذلك ، لكنها ماتت لسوء الحظ .  
ولقد كانت تلقى القبول والاحترام حتى وفاتها ، ومن ثم  
تربت على تلك ارسال الصبى مايلز الى مدرسة بعيدة .

« ومنذ ذلك الحين ، كانت السيدة جروز تبذل غاية  
جهدهما لرعاية الطفلة الصغيرة فلورا وتعلمها آداب  
السلوك .

وكان يوجد فى « بسلاى » كذلك طباط وخادمان

وبسـتـانـي عـجـوز ، وـحـوذـي لـقـيـادـة المـعـريـة ، وـكـانـوا كـلـهـم  
يـتـمـتـعـون بـالثـقـة وـالـاحـتـرام » .

عـنـد هـذا المـد تـوقـف دـوجـلاس طـويـلا ، اـيـتـيـح الفـرـصـة  
لـأـحـدنا ان يـسـال . « ما هو سبب مـوت المـريـبة السـابـقـة » ؟

فـأـجـاب : « سـوف يـتـضـح ذـلك مـن خـلال القـصـة » .

فـقـلت : « لو اـتـنى كـنت مـكان صـديـقـتك ، فـلاـيـد ان الشـك  
كـان يـنـتـابـني ، وـكـنت سـأـلت السـيـد عـما اـذا كـانـت المـريـبـة  
فـي « بـلاـي » » .

فـاكـمـل دـوجـلاس ما كـان يـدور فـي ذـهـني : « . . . تخـاطـر  
بـفـقـدان حـيـاتـها ؟ بـالـطـبع ، كـانـت تـريد ان تـعـرف ذـلك ، وـسـوف  
اـحـكى لـكم غـدا ما عـرـفـته وـلـقـد انـتـابـتـها بـعض الشـكـوك الفـظـيـمـة  
فـي ذـلك الـوقـت . كـانـت شـابـة صـغـيـرة وـقـلـقة . وـكـانـت تـلك  
أول وظيفـة لـها . وـمـسـئـوليـاتـها لا يـد ان تـكـون جـسيـمـة ، وـلـن  
يـكـون لـها اـي رـفـيق فـي « بـلاـي » » .

تـرـدـدت ثـم طـلـبـت عـدة اـيـام لـتـفـكـر فـي الـامـر . وـلـما كـان

المرتب الذى حدد لها اكبر بكثير مما توقعت ، فقد قبلت  
الوظيفة عندما قابلت السيد فى المرة الثانية ، .

قلت : « السبب واضح . فلقد وقعت فى حب ذلك الشاب  
الرائع ، ولم تستطع رفض طلبه ، » .

نهض دوجلاس واتجه ناحية المدفأة . وتوقف لحظة  
أو لحظتين وظهره لنا ، وقال : « لقد رآته مرتين فقط ، » .

ـ « نعم ، لكن ذلك أروع مافى حبها ، » .

فالتفت الى دوجلاس وقال : « هذا صحيح . هذا أروع  
مافيه . فلقد تقدمت نساء أخريات للوظيفة ورفضتها ، فقد  
خفن من الظروف المحيطة بالعمل ، الذى بدا بالنسبة لهن  
كثيبا وغريبا ، هذا بالاضافة الى ان شرطه الأساسى جعلهن  
يتخوفن ، » .

ـ « وماذا كان شرطه الأساسى ؟ » .

ـ « الا تسبب له أى ازعاج على الاطلاق . فلا ينبغى  
ان تشكو أبدا ، أو حتى تكتب اليه بخصوص أى شيء . وأن

تواجه كل المشاكل بنفسها . وتتحمل كل المسئولية تجاه  
الأطفال و « بلاى » ، يتلقى كل ماتريده من نقود من محاميه ،  
أى ببساطة تتركه فى حاله . ووعده ان تفعل كل ذلك .  
وقالت لى ، انه فى اللحظة التى أمسك فيها يدها ليشكوها ،  
شعرت بأنها نالت جائزة .

سالت احدى السيدات : « لكن هل كان ذلك كل ما حصلت  
عليه ؟ »

— « لأنها لم تره مرة ثانية » .

فقالت احدى السيدات : « أود » .

واعتقد ان هذه كانت الكلمة الوحيدة لفظت التى كان  
يمكن ان تصدر عن أى واحد فينا تعليقا على الموضوع حتى  
الليلة التالية .

فى مساء الخميس تجمعنا بعد العشاء حول المدفأة ،  
واتحنا لندرجلاس فرصة الجلوس على أكثر المقاعد راحة .  
وكان يضع تحت ذراعه كتابا أحمر غير سميك ، خلافه كالح

ثم بدأ يفتحه ببطء . واستغرقت القصة عدة ليال ، لكن في أول فرصة سنحت سأله نفس السيدة سؤالاً آخر :

— « ما عنوان القصة ، يادوجلاس ؟ »

— « ليس هناك عنوان » .

قلت : « أوه ، بل يوجد عنوان ! »

ولم يهتم دوجلاس بعلاظتي . وبدأ يقرأ بصوت واضح ...

## - ١ -

فى اليوم القالى لزيارتى الثانية لك البيت فى شارع  
هارلى عاودتنى كل شكوكى مرة ثانية . واحسست تماما  
اننى اخطات .

رحلت من لندن بنفس تلك الحالة الذهنية ، ووصلت  
الى قرية تبعد عن « بلاى » عدة أميال ، بعد ظهر يوم دافىء  
من شهر يونيو . كانت عربة البيت فى انتظارى . ورفع  
بالى مشوار الرحلة روحى المعنوية ، لأن المنطقة كانت من  
أجمل مناطق الريف ، واحسست بنوع من الترحيب الحميم  
هناك . وعندما استدرنا داخل الحديقة ورأيت البيت لأول  
مرة ، ذابت كل مخاوفى .

كان بيتا ذا واجهة عريضة مشرقة ، ونوافذ عريضة  
مفتوحة ، وستائر ناصعة البياض .

وكان اثنان من الخدم يطالان من التوافد ، يرقبان  
العربة .

مازلت اذكر العشب الأخضر ، ومئات الزهور ، وضجة  
عجلات العربة فوق المر وذلك الهدوء الذى يتصف به  
المكان .

كان المشهد عظيما ولايقارن ببيتنا الفقير المتواضع .  
وعندما توقفت العربة ظهرت عند الباب امرأة بشوشة تمسك  
فى يدها طفلة صغيرة . قامت بتحيتى كما لو كنت سيدتها  
أو زائرا مهما .

عندما كنت فى شارع هارلى اخذت فكرة مختلفة تماما  
عن « بلاى » ، اما الآن فقد بدت لى صورة ذلك الرجل اروع  
مما كنت اظن اول مرة .

وحقيقة فلقد استمتعت بالساعات التى تلت ذلك .  
ففلورا الصغيرة كانت بنتا مدهشة ، وشعرت باننى محظوظة  
لكى تكون تلميذة لى . . كانت اجمل طفلة رايتها فى حياتى  
واندهشت بعد ذلك عن السبب الذى جعل السيد لا يخبرنى  
بذلك .





ورأيت البيت لأول مرة ..

ومن فرط سعادتي لم استطع النوم جيدا تلك الليلة .

كانت حجرة نومى كبيرة ، ومن أحسن المجلات فى البيت . والسرير نفسه كان من ذلك النوع الذى يمكن للإنسان أن يراه فى القلاع . ولأول مرة فى حياتى استطعت أن أرى نفسى من أخص قدمى الى قمة رأسى فى مرآة كبيرة . لقد كانت كل هذه الأشياء - غير متوقعة على الإطلاق . . . مثلما لم أكن أتوقع جمال البنت الصغيرة .

وكان من غير المتوقع أيضا أن أتوافق مع السيدة جروز منذ الوهلة الأولى . فلقد كان لدى بعض القلق تجاه علاقتى بمديرة البيت ، لكن لم يكن ينبغي أن أشعر هكذا . كانت امرأة كبيرة ، بسيطة ، واضحة ، نظيفة وأمينة . وبدأت فى منتهى السعادة لرؤيتى . وحقيقة ، وبعد مضي نصف ساعة ، أحسست أنها تحاول أن تخفى عدى سعادتها لرؤيتى ، فتساءلت لماذا .

أما بالنسبة للطفلة الصغيرة فلم أشعر بأى نوع من القلق تجاهها ، فلقد كان مما يسعدنى حقا ، أن أقوم

بالتدريس لها . فكرت فيها كثيرا فى تلك الليلة الاولى ، وهذا ما جعلنى متيقظة بالاضافة الى اضطرابى . كنت انهض عدة مرات واتجول فى انحاء الحجرة واتطلع الى الاثاث والسقائر والبوادر الأخرى التى تدل على حسن حظى . رأيت تباشير الصباح وسمعت تغاريد الطيور الاولى من خلال نافذتى المفتوحة . وقبل ذلك بفترة سمعت أصواتا أخرى صادرة من داخل البيت ، وأصغيت مرة أخرى عسى أن تتكرر مرة ثانية . وذات مرة تعرفت على الصوت ، فقد كان صرخة طفل واهنة آتية من بعيد . وبعد ذلك سمعت صوت خطوات خفيفة فى الروضة الموجودة خارج غرفتى . لكن هذه الخزعبلات لم تكن بالدرجة التى يمكن أن تزعجنى فى ذلك الوقت . وأنا أذكرها فقط الآن لأن لها ارتباطا بما حدث بعد ذلك .

لم يكن واجبى فى « بلاى » ينحصر فى تعليم فلورا ، بل فى العناية بها كلية . كنت غريبة فى هذا البيت ، وكانت الطفلة قلقة بعض الشيء بطبيعة الحال . لكن السيدة جروز كانت قد اتفقت معى ، على أن تنام فلورا معى فى حجرتى

بعد هذه الليلة الأولى : فأحسست يقينا انها سرعان  
ما تتوافق معى .

أعجبت بسلوك الطفلة الصغيرة اثناء العشاء ، ولم  
تستطع مديرة البيت أن تخفى سعادتها بذلك . وتحديثنا  
بطبيعة الحال عن الطفلة بطريق غير مباشر فى وجودها ،  
لكننا كنا نفهم بعضنا تماما .

- وتلميذى الآخر .. هل يبدو مثلها ؟ اهو أيضا ...

- اوه ، ياآنسة ، فى الحقيقة هو كذلك . لو انك تخطين  
خيرا فى هذه المينت ...

ثم توقفت السيدة جروز هناك وفى يدها طبق وهى  
تبتسم :

- نعم ، لو اننى أفعل ...

- سيعطاف معك السيد الصغير !

- حسن ، ولسوء الحظ سرعان ما اتعاطف بسرعة .  
فلقد حدث لى ذلك فى لندن .

- تقصدين فى شارع هارلى ، يانسة ؟

- نعم !

- اوه يانسة ، لست انت اول شخص يشعر بذلك نحوه  
ولن تكونى الاخيرة !

ضحكت وقلت : اوه ، انا اعرف ذلك جيدا . . . متى  
سيعود الصبى الصغير الى البيت ؟

- بعد باكر . ستقابله العربية فى القرية .

واتفقنا على ضرورة زهابى مع فلورا لمقابلة شقيقها .  
وكان ذلك هو ثانى شئ اتفق فيه بسهولة مع السيدة  
جروز . واعتقد ان ذلك ساعدنا نحن الاثنين .

كانت خطتى فى اليوم القالى ان اعطى الطفلة فرصة  
لتعرفنى افضل . فطلبت منها اذا كانت ترغب ، وكنوع من  
الجميل بالنسبة لى ، ان ترينى بنفسها البيت وما حوله .  
وكانت سعادتها بالغة بذلك .

لارتنى البيت مكانا ومكانا ، وحجرة حجرة ، حتى  
الاماكن المخفية منه ، وكنا اثناء ذلك نتحدث حديثا وديا .

وكانت النتيجة اننا أصبحنا أصدقاء بعد مضي نصف ساعة .

خلال جولتنا في المكان لفت نظري ثقتها في نفسها وشجاعتها . فأحيانا كنت أتردد في الدخول عند مدخل إحدى الغرف الخالية أو عند ممر مظلم ، أما هي فلم تكن تتردد أبدا . حتى عندما وصلنا إلى قمة البرج القديم المربع الذي أروعني ، كان صوتها مجلجلا وهي تقولني .

منذ اليوم الذي غادرت فيه « بلاي » لم أرجع إليه أبدا . كنت شابة آنذاك ، وخبرتي قليلة بالحياة . فبدأ لي البيت آنذاك ضخما ورائعا وذا أهمية ، في حين أنه يبدو لي الآن بيتا ريفيا عاديا . لكن عندما كانت مرشدتي تمضي أمامي راقصة في أرجاء البيت وردماته ، فقد خيل لي ساعتها أنه قلعة رائعة . كان الأمر بمثابة رواية سقطت نائمة وأنا أقرأها .

وبعد الغداء تبدلت وجهة نظري بالنسبة للبيت . كان « بلاي » بيتا كبيرا وغير جميل ، لكنه مريح . كأنه بمثابة سفينة ضخمة عليها نصف دسنة من المسافرين ، والغريب في الأمر أنني قائدة هذه السفينة !

## - ٢ -

فى وقت متأخر من مساء ذلك اليوم وصل البريد .  
كانت هناك ورقة صغيرة من السيد تحوى مظهروفا مغلقة  
موجها اليه على عنوانه . كانت الورقة تقول : « هذا  
الخطاب المعلق من ناظر مدرسة « مايلز » ، أرجو أن تقرأيه ،  
وتفاهمى معه . ولا تخبرينى بأى شئ » . لا أريد أن أسمع  
كلمة واحدة ! » .

لم أفتح الخطاب الا حين ذهبت الى الفراش . وكم  
تمنيت ان كنت تركته الى الصباح ، لأنه أصابنى بالأرق ليلة  
أخرى . بعد ساعة من تناول الافطار قررت أن اتحدث مع  
السيدة جروز بخصوص الخطاب .

قلت : « لقد طرد مايلز من المدرسة ، ما رأيك فى ذلك ؟

لاحظت تعبير وجهها على الفور . فربما لم تزعيها  
هذه الاخبار . ثم بدا عليها كما لو انها لم تفهم الامر ،  
فسالت : « لكن لا يغادر الأولاد المدرسة عند بدء الأجازة ؟

— أجل . . أيام الأجازات فقط . لكن مايلز لن يعود  
الى المدرسة على الاطلاق ، لقد فصل !

احمر وجهها وقالت : « ان ياخذوه ثانية ؟ »

— يرفضون رفضا تاما .

امتلات حينها بالدموع وقالت : « ما الذى فعله ،

ناولتها الخطاب . لم تأخذه منى ووضعت يدها خلف  
ظهرها وهزت راسها . وقالت :

— هذه المسائل ليست من اختصاصى يا انسة !

عرفت عندئذ انها لاتستطيع القراءة . واحمر وجهى  
بسبب غلطتى ، وفتحت الخطاب لأقراه لها . لكننى لم  
استطع فعل ذلك . وكل ما استطعت قوله : « انا اتساءل عما  
إذا كان الامر سيئا » .



كانت الدموع ما زال في عينيها ، وقالت « هل الخطاب يقول ذلك يا أنسة ؟ »

— « لا توجد تفاصيل . فالناظر بكل بساطة يأسف لعدم إمكان عودة مايلز الى المدرسة . وهذا يحتمل معنى واحدا ، انه ولد مؤذى بالنسبة للولاد الآخرين » .

التفتت الى في غضب وقالت : « سيدى مايلز مؤذى بالنسبة للولاد الآخرين ؟ !

لم اكن قد رايت الولد من قبل . لكن كان هناك فيض من الثقة في كلماتها حتى اننى صدقتها . فقلت : « أجل ، أجل . انا لا أستطيع ادراك الموضوع على الاطلاق »

— بالطبع ، ان قول كلام مثل هذا في منتهى القسوة والظلم . . انتظري حتى تريه يا أنسة . . ثم صدقي الأمر اذا أستطعت » .

احسست لحظتها بفضول شديد لرؤيته . ومن المحتمل ان السيدة جروز أدركت ذلك ، قواصلت كلامها على الفور : هل تصدقين مثل هذا الكلام عن فلورا ؟ تطلعسى اليها فقط ! ،

قبل ذلك بعشر دقائق كنت قد تركت فلورا فى حجرة الدراسة ، مشغولة بواجب الكتابة الذى اعطيتسه لها .  
وعندما استدرت فى تلك اللحظة وجدتها تقف بباب الحجرة المفتوح ، فى مواجهتنا . وبدأ فى عينيها كأنها تقول :  
« ظننت أنه من اللطيف أن أتبعك ، أما الواجب فبإمكانى أن أقوم به فيما بعد » .

فى نفس ذلك اليوم أخذت اتحين فرصة للحديث مع السيدة جروز مرة ثانية . لكن كان على الانتظار حتى وقت المساء ، حين تبين لى أنها كانت تحاول أن تتجنبنى . وحدث أن قابلتها على السلم .

سألتها : « هل صحيح أنك لم تكونى تعرفين أبدا أن مايلز ولد مسيء » .

— أوه ، كلا ، يا أنسة . لا أستطيع ادعاء ذلك .

— إذن فأنت تعرفينه ...

— أجل أعرفه تماما ، يا الهى !

— تعنين أنه لم يكن أبدا ولدا سيئا . .

— لم يولد له مثل أبدا ، يا أنسة !

وافقتها على ذلك ، وقلت : « لكن يعجبك منهما أحيانا بعض الشقاوة ، اليس كذلك ؟ ولم أعطاها فرصة للإجابة فواصلت ؟ هكذا أفعل أنا ؟ ! لكن ليس الى حد الاساءة الى الاطفال الآخرين » .

عند ذلك ضحكت وقالت : « هل انت خائفة من أن يكون له تأثير سييء عليك ؟ » .

وجهت الى هذا السؤال بنوع من الجسارة حتى اننى ضحكت .

وفى اليوم التالى وقبل أن اذهب لمقابلة هايلز كان لنا حديث هادئ طويل .

قلت : « بالنسبة للمربية التى كانت هنا قبلى .. ماذا كان شأنها ؟ »

— المربية السابقة ؟ كانت شابة لطيفة .. فى مثل جمالك وشبابك تقريبا ، يا أنسة .

فقلت ضاحكة : « اه ، اتمنى أن يكون جمالها وشبابها

قد ساعدها ، اذ يبدو وانه يعجبه فينا ، ان نكون فتيات  
جميلات ! ،

فوافقتنى قائلة : « اوه . ذلك أسلوبه بالفعل . هو  
يفعل ذلك .

لكن عندما قالت ذلك بدا انها ندمت على ما قالت . .  
فاضافت بسرعة : « اعنى ذلك هو أسلوبه . . أسلوب  
السيد ، .

فى اللحظة التالية لم انتبه الى ان ما قالتة مصادفة كان  
اكثر مما كانت تريد ان تقوله . فسالتها فقط عما كنت اريد  
ان اعرفه . « هل كان بينها وبين مايلز اى نوع من المتاعب ،  
- لم تقل لى مطلقا .

- هل كانت انسانة حريصة ؟

وبدت السيدة جروز وكأنها تستحث ضميرها ثم قالت :  
« أجل . . بخصوص بعض الأشياء !

- لكن ليس بخصوص كل شيء ؟

فترددت مرة ثانية : « هيه ، ياآنسة . . لقد مضت لحال  
سبيلها . ولا اريد ان اقول اى شيء بخصوصها ، .

— أنا حقيقة أقدر مشاعرك • لكن لايفيدك أن تخبريني  
عن شيء • • هل ماتت هنا في • بلدى • ؟  
— كلا • رحلت عن هنا •

أحسست بأن لى الحق فى معرفة ما حدث للمربية  
السابقة • أعرف عما اذا كان المكان أو العمل قد تسبب فى  
مرضها ، إذ ربما يحدث لى ما حدث لها • • هل تعنين انها  
مرضت هنا وكان ينبغى ترحيلها الى بلدها ؟ •

— لم تصب بأى مرض هنا ، على قدر ما رأيت ، فى هذا  
البيت • لقد رحلت عنا فى نهاية العام لتذهب الى بلدها فى  
إجازة قصيرة • ولم يكن فى ذلك شيء غير عادى وكان  
لفلورا ممرضة خاصة فى ذلك الوقت ، فقامت برعاية  
الطفلين لفترة غياب المربية • لكن الفتاة لم تعد أبدا • وفى  
الوقت الذى كنت أتوقع فيه حضورها وجلس خطاب من  
سيدى يخبرنى فيه انها ماتت !

— وما السبب فى موتها ؟

— لم يخبرنى به اطلاقا ! • • لكن عفوا ، يا آنسة ،  
فلا بد أن أعود الى عملى الآن !



### - ٣ -

عندما وصلت الى فندق القرينة ، كان مايلز ينتظر هناك . كانت تبدو عليه مظاهر النضارة والشرف ، وذلك ما أعجبت به كثيرا جدا . تطلمت اليه فوجدته فى مثل جمال شقيقته . لكن عندما تذكرت خطاب ناظر المدرسة أصبت بحيرة ، بل حتى بشيء من الالامنة . لقد كانت السيدة جروز على صواب ، فالولد لا يستطيع ان يرتكب اخطاء جسيمة . اذ يبدو عليه أنه لا يعرف شيئا سوى الحب .

وبأسرع مايمكن رتبت لقاء خاصا مع مديرة البيت لادلى لها برأىي قلت : « انا متأكدة ان الأمر كله وراء ! » .

- تقصدين هذه التهمة المقاسية ؟ !

- اجل . لابد انهم اخطاوا .

- اذن ماذا ستفعلين ؟ هل ستتردين على الخطاب ؟ !

قلت لها بعد ان حسمت امرى : « كلا . لن افعل اى شىء على الاطلاق » .

- لكن هل ستجبرين عمه ؟

- كلا . فهو لا يريد سماع كلمة !

- وماذا عن مايلز نفسه ؟

- لا ينبغي ان اخبره باى شىء هو ايضا .

- اذن ساقف الى جانبك ، يا آنسة . سوف نتدبر الامر معا !

- عظيم ! وتصافحنا بالايدي لتأكيد هذا الاتفاق .

لم تكن المسألة بمثل هذه السهولة كما تصورت . فقد شعرت بنوع من الشفقة الكبيرة تجاه الطفلين مثل عمهما فى شارع هارلى - وخاصة بالنسبة للولد . لقد احببتهما هما الاثنان جدا ، وربما كان لذلك تأثيره فى حكمى عليهما ان معرفة مايلز بالحياة كانت فى بدايتها ، ولم اكن كفؤا



تماما لكى أمدّه بها • ولا أستطيع تذكر الخطط التى وضعتها  
لدراسته فى نهاية الاجازة • كلنا كان يرى أنه لابد وأن  
توجد دروس ، وأنا أشعر الآن اننى كنت الشخص الوحيد  
الذى تعلم خلال تلك الأسابيع !

ولأول مرة فى حياتى عرفت اللهو ، بل حتى كيف اللهو  
ولا افكر فى المستقبل • لم اكن اعرف من قبل مثل هذه  
الحرية والرحابة ، كما لم يكن لدى الوقت لسماع موسيقى  
الصيف ومعرفة كل اسرار الطبيعة •

غير اننى كنت احظى باحترام كبير ورعاية حسنة ..  
كان الطفلان رائعين ..

ولم تصبر عن الطفلين أى متاعب على الاطلاق •

وكان اكثر ما احببت فيهما فى ذلك الوقت ، هو رقتهما  
وحسن اصغائهما • كانت صحتهما على مايرام تماما وكذلك  
فى اكمل سعادة • ويقومان بفعل أى شىء اطلبه منهما •  
ومازلت اذكر تلك الأسابيع وكأنها فترة من الهدوء والسلام  
العظيم • لكننى الآن تأكدت ان ذلك الهدوء كان بمثابة  
الترقب الذى يستعد به الحيوان للقفز •

كانت أيام الصيف طويلة . وعندما كان تلميذاي ينتهيان من تناول العشاء والذهاب الى الفراش ، تعودت أن استمتع لمدة ساعة بمفردى . كنت أقضيها غالبا في التمشي في أرجاء البيت أو في الحديقة ، مستمتعة بجمال البيت والحدائق . في تلك اللحظات كان يسعدنى أيضا أن أفكر في السيد الذى كان يقطن في شارع هارلى . لقد كنت أنفذ كل ما طلب منى أن أفعله ، وتمنيت أن أكون قد قمت به على أكمل وجه . ودائما ما كنت أتخيله يظهر فجأة في أحد أركان البيت أو أحد الممرات ، يلف قبالتى بابتسامته المشرقة ويثنى على عملى . كل ماكنت أتمناه فقط هو أن يعرف ، والفضل طريقة للتأكد من أنه قد عرف ، هي حضوره الى هنا . ورؤية ذلك منعكسا على وجهه .

وفي نهاية يوم من تلك الايام الطويلة ، وفي إحدى هذه المرات كان وجهه يلوح في مخيلتى هكذا بالضبط فخرجت من بين مجموعة من الأشجار وأصبح البيت كله في مواجهة بصرى . وقفت ساكنة بلا حراك فقد اعتقدت بنوع من الدهشة أن خيالاتى أصبحت حقيقة . كان يقف هناك ! ليس

فى المر ، بل هناك على قمة البرج المربع الذى تسلقته مع  
فلورا .

واعقبت تلك الدهشة دهشة ثانية . فلم يكن الرجل  
الذى رأيتة هو الشخص الذى فى مخيلتى . كان غريبا عنى  
تماما . وفى اللحظة التالية ، اكتشفت ان الحديقة أصبحت  
هادئة جدا فجأة . سكنت رياح المساء ، وتوقفت الطيور  
عن التغريد ، لكن لم يكن هناك تغير آخر فى مظاهر الطبيعة  
فالشمس الذهبية الغاربة مازالت موجودة فى السماء ،  
والصفاء مازال موجودا فى الجو ، والرجل الذى كان يتطلع  
الى كانت معاله واضحة وكأنه صورة فى إطار .

استرجعت بسرعة ملامح الأشخاص الذين أعرفهم .  
لكنه لم يكن من بينهم . تطلع كل منا الى الآخر عبر اتساع  
الحديقة . ولفترة تكفى لأسال نفسى عدة مرات عن يكون .  
لكن لم يكن فى استطاعتى ان أعرف ، وأخذت حيرتى من  
فشلى هذا تفدو القوى كل لحظة .

فى مثل هذه الأحوال ، فان السؤال المهم الذى يعقب  
وقوعها ، هو كم استغرق هذا الأمر . وبينما كنت أراقب

هذا الشخص كانت العديد من أسماء الناس الذين أعرفهم  
تجارا أو خدما تمر عبر رأسي . وظل الأمر لفترة حتى  
وصلت الى حقيقة انه ربما يكون شخصا من اهل البيت لم  
اره على الإطلاق .

وتساءلت عندئذ كم مضى من الوقت على وجوده معنا  
ضايقتني تلك الفكرة ، على ما انكر ، لأنني كنت المستولة  
عن « بلاي » . . . ولا بد أن اكون قد قابلت كل فرد فيه ،  
وتيقنت انه كان ينظر الى ، كما لو انه كان يسأل نفسه  
بالمضبط نفس الأسئلة . ولو أننا كنا قرييين من بعضنا ،  
فقد كان من الممكن أن تكون صبيحة أو نداء هي النتيجة  
المنطقية لنظراتنا الطويلة .

كان يقف في أحد زوايا البرج ، لكن بعد دقيقة غير  
مكانه ببطء . ثم اتجه ناحية الركن الآخر وهو مازال ينظر  
الى ، لكن لفترة قصيرة . وبينما كان يبتعد كانت عيناه  
لاتزالان مثبتتان على بشده . وابتعد ، كان ذلك كل ما عرفته !

## - ٤ -

كانت أول فكرة خطرت على بالي ، انه ربما يكون هناك سر في « بلاي » ، من المحتمل ان العائلة لديها قريب مجنون تضجل منه ، واحتجزته هناك في السر ، كانه سجين . كانت تلك هي احدى الأفكار التي انتابتنى ولم اعرف كم من الوقت وقفت هناك وأنا في منتهى الضيق بسبب الفضول والخوف . وعندما عدت الى البيت كان الظلام قد حل تقريبا .

كانت السبيدة جروز هناك في استقبالي ، وكان يبدو على وجهها شيء من الجزع ، فعرفت أنها افتقدتني . وعندما زال جزمها ، عاد اليها تعبير وجهها العادي الطيب الصادق ، وحينما تطلعت اليها حينئذ ، تأكدت انها لم تكتشف شيئا مما قد رأيته . فترددت وبعد لحظة قررت ألا اخبرها .

أبدت بعض الأعداء لتأخيري بالخارج وتوجهت الى  
فرقتي .

كانت حجرتي هي المكان الآمن الوحيد الذي استطعت  
أن أفكر فيها بصفاء لعدة أيام . لم أكن خائفة بعد ، لكن  
الذي كان يرهقني هو التفكير في أنني ربما أصبح خائفة .  
بحثت عن بعض التفسيرات لهذا الحادث ، كما أعطيت  
اهتماما أكثر للأشياء العادية التي تجري في البيت . ذلك  
أن الصدمة التي تعرضت لها أرهقت كل حواسي .

وبعد انقضاء ثلاثة أيام تأكدت من عدم وجود اقرباء  
يعيشون في السر بأعلى البرج . ولم أستطع أن أصدق أن  
ماتعرضت له قد يكون نكته عملية رتبها الأطفال أو الخدم .  
وأحسست يقينا أنه ليس هناك أحد آخر في البيت عرّف  
أي شيء عن الزائر الغريب .

كان هناك احتمال واحد فقط يمكن حدوثه ؟ وهو أن  
شخصا ما دخل البيت دون أن يراه أحد . ربما يكون سائحا  
مفرما بالبيوت القديمة ، دخل الى البيت وصعد الى البرج ،  
واستمع بالمنظر ثم انصرف في هدوء . لكن ان يفعل ذلك

فتلك جراءة منه ، والأكثر جراءة في الأمر نظرتة الطويلة  
إلقاسية الى . على أى الأحوال فلقد انتهى الموضوع ولن  
يعود الى هنا مرة ثانية .

قررت أن أنسى متاعبي بأن أعطى كل وقتى وفكرى  
لعملى . ولم يكن ذلك صعبا . فقد كان مايلز وفلورا يمثلان  
بالنسبة لى سعادة وبهجة عظيمة . خاصة وأن عمل المربية  
عادة مايكون عملا مملا ، لكنى أحسست بنوع من الرضا  
التام فيه .

كان الطفلان يهبانى متعة فى كل شىء ، وفى كل يوم  
كنت أكتشف أشياء جديدة . لكن ذات يوم لم أكتشف أى  
شىء على الإطلاق ؟ لأن مايلز لم يخبرنى بأى شىء عن  
مدرسته . ربما أنه حل اللغز دون أن يقول كلمة . كان  
سلوكه ممتازا ، ولم أستطع حقيقة أن أصدق ببساطة أن  
ثمة طفلا مثله يستطيع فعل أشياء سيئة .

كنت متأكدة من ذلك تماما لأنه لم يفعل أى شىء أبدا  
يستحق عليه العقاب . ولو أنه كان شريرا ، فلا بد أنه

كان سيماني من ذلك ، ولكنك رأيت بوادر الم أو خجل  
على وجهه . لكننى لم أجد شيئاً سوى السعادة . كان  
هناك نوع من السحر فى هذين الطفلين جعلنى أنسى  
شكوكى والامى .

مازلت اذكر يوم الأحد الثانى من شهر يوليو ، فقد كان  
صباحه ممطرا ولم نستطع الذهاب الى الكنيسة . واتفقت  
مع السيدة جروز أن نذهب سويا فى المساء اذا توقف المطر  
ولحسن الحظ توقف المطر ، فهيات نفسى لنذهب الى القرية  
وعند نزولى على السلم تذكرت حقيبتى التى تركتها فى  
حجرة الطعام وقت تناولنا الشاى . فذهبت لأحضرها .  
كانت خطوه واحدة داخل الغرفة فيها الكفاية ، فلقد رأيت  
حقيبتى فوق أحد المقاعد بالقرب من النافذة العريضة ، التى  
كانت مغلقة . ورأيت كذلك شخصا يقف خارج النافذة ويطل  
مباشرة الى الداخل ، وتعرفت عليه فى الحال . كان نفس  
الرجل الذى ظهر لى من قبل فوق البرج !

لم تكن صورته اوضح بالنسبة لى ، عكس ماحدث فى  
المره الأولى ، لكنه كان بالتأكيد أكثر قربا منى . جعلنى





وتعرفت عليه في الحال ٠٠ !

منظره اكتم انفاسي واصاب ببرودة . كان وجهه ملتصقا  
بالزجاج . نظر الى ، وعرفت انه تصرف على . لكنني  
شعرت كما لو انني كنت رايتك منذ اعوام وانني اعرفه منذ  
فترة طويلة . وحدث شيء هذه المرة لم يحدث من قبل ؟  
وهو ان عينيه ابتعدتا عني للحظات قليلة ، ولحظنا تتطلعان  
في انحاء الغرفة .

وتأكدت في القو انه يبحث عن شخص آخر ، وانه لم  
يحضر من اجلي .

وكان لمعرفة ذلك اثر غريب على . اذ فتج عنه احساس  
بالواجب والشجاعة . فاندفعت خارجة من الجسرة الى  
الصالة ثم الى الخارج . ولففت حول ناصية البيت ، حتى  
وصلت في مواجهة نافذة حجرة الطعام مباشرة من الخارج  
لكن الزائر كان قد اختفى . توقفت ، وشعرت بنسوع من  
الارتياح نتيجة لذلك ، ثم انتظرت لأعطيه فرصة للظهور  
مرة ثانية .

كان المر والحديقة المجاورة ، والفناء الخلفي ، كلها  
خالية . وكانت هناك أعشاب طويلة وأشجار ضخمة ، لكنني

كنت على يقين من انه لا يختفى بداخلها فهو اما ان يكون موجودا هناك او غير موجود ، وبالتالي فهو غير موجود ، اذا لم استلم رؤيته ، وقفت حيث كان واقفا . واتجهت ناحية النافذة وضغطت وجهي على الزجاج كما فعل . في نفس اللحظة دخلت السيدة جروز الى حجرة الطعام من الصالة . راتني كما رايت انا الزائر الغريب ، توقفت كما توقفت انا . وتسببت لها في صدمة بنفس القدر الذي حدث لي . ابيض لونها وفعلت نفس الحركة التي فعلتها انا ، اندفعت خارج الحجرة . كنت اعرف انها لا بد ان تلف وتاتي الى الخارج ، وبينما كنت اقف منتظرة اياها تساءلت لماذا ارتعبت وابيض لونها ؟ !



- ٥ -

كانت انفاسها متقطعة عندما وصلت الى عبر الناصية  
وقالت : « ما الأمر .. »

لم اقل شيئا حتى اصبحت الى جوارى هبالتها : « كيف  
يبدو منظري ؟ »

- يبدو مربعاً • فلونك ابيض مثل ملاءة السرير !

كان لابد ان اقول لها الآن • فلم اعد أستطيع الاحتفاظ  
بسر هذه المرة الثانية • « لقد حضرت الى بالطبع لتذهب  
الى الكنيسة ، لكننى لا أستطيع الذهاب !

- هل حدث أى شيء ؟ !

- نعم • • • ما حكى لك عنه • هل بدا منظري غريباً

جدا ؟ !

– من خلال النافذة ؟ أجل ، مرعب !

قلت : « فعلا ، فلقد كنت مرتعبة » .

وأوضحت لى عينا السيدة جروز بوضوح انها لا تريد ان تبدو خائفة . فأمسكت بيدي وكانت على استعداد تام لمشاركتي في ازمتي حينذاك . وقلت :

– لقد ابيض لونك عندما رايتني خلال النافذة – اما ما رأيته انا – فكان أسوأ من ذلك بكثير !!

فسألني : « ماذا رايت ؟ »

– رايت رجلا غريب الشكل يتطلع الى حجرة الطعام !

– أى رجل ؟ !

– ليست لدى أى فكرة .

تطلعت السيدة جروز حولها وقالت : « اذن الى أين

ذهب ؟ » .

– لا أعرف ذلك أيضا .

– هل رأيته من قبل ؟ !

- نعم ٠٠ مرة ٠٠ كان فوق البرج حينذاك !
- هل تعنين أنه غريب ؟ !
- أوه ، هو كذلك بالفعل !
- لكنك لم تخبريني من قبل .
- كلا . كان لدى مبرراتي . لكده تبينت الأمر الآن !
- اتسعت عيناها بشكل كبير : « أنا لم أتبين أى شيء » ،
- ثم قالت ببساطة : « هل أنت متأكدة من أنك لم تتخيلي ذلك »
- متأكدة تماما !
- واثق رأيته مرة من قبل فوق البرج ؟ !
- رأيته فوق المبرج ، وخارج هذه النافذة الآن !
- ماذا كان يفعل فوق البرج ؟
- كان واقفا هناك ولاكثر ، ويتطلع الى
- فكرت الحقيقة : « اكان سيدا ام خاسما ؟ »
- لم استطع الاجابة على الفور : « لم يكن سيدا ! »
- اكان واحدا من اهل القرية ؟

— كلا ليس من أهل القرية — لا أستطيع وصفه ، لكنى متأكدة من ذلك •

— حسن ، إذا لم يكن سيّدا ولا واحداً من أهل القرية ، فماذا يمكن أن يكون ؟ !

— انه ... أوه فليساعدنى الله ، أنا لا أعرف من يكون تطلعت السيدة جروز حولها مرة ثانية • وتطلعت عبر الحديقة والغناء ثم التفتت الى وقالت : « كان من المفروض ان تكون فى الكنيسة الآن » •

— أنا أسفة ، لن أستطيع الذهاب معك !

— ولم لا ؟ ربما يكون فى ذلك مصلحة لك ؟

— لكن لن يكون ذلك فى مصلحتهما •

وتطلعت تجاه حجرة الأطفال ••

— تقصدين الطفلين ؟

— نعم • لا أستطيع تركهما الآن • أنا خائفة منه !

عندما قلت ذلك تغير تعبير وجهها • اذ يبدو ان فكرة



جديدة طرأت على ذهنها ، فكرة لم أوحى أنا بها اليها .  
وريدات تسألني : « متى رأيته - فوق البرج ؟ »

- منذ ثلاثة أسابيع مضت ، في نفس هذا الوقت  
من النهار .

فقلت السيدة جروز : هل كان الجو ظلاما تقريبا ؟

- أوه ، كلا . كان الوقت مساء وكان هناك بعض  
الضوء .. ورأيتة بنفس امكانية رؤيتك الآن !

- اذن كيف أمكنه أن يدخل ؟

هسكت : « بل كيف أمكنه أن يخرج ؟ لم تكن لدى  
فرصة لسؤاله .. وهذا المساء لم تكن لديه القدرة على  
الدخول » .

- هل كان يتطلع فقط خلال النافذة ؟

- أجل . وأتمنى ألا يفعل أكثر من ذلك ،

واستدارت لتتصرف . فانتظرت لحظة ثم قلت :  
أذهبى أنت الى الكنيسة . مع السلامة ينبغي أن أترقب  
قلوبه !!

تطلعت الى عيني ثانية وقالت : « هل انت خائفة  
على الاطفال ؟ »

— وانت ، المست كذلك ؟

لم تجب وذهبت تجاه النافذة وضغطت وجهها على  
الزجاج ، فواصلت كلامي : « انت ترين الآن كيف كان  
بإمكانه أن يرى ، »

لم تتحرك وقالت : كم من الوقت بقى واقفا هنا ؟

— حتى خرجت ، خرجت لأقابله !

عندئذ استدارت السيدة جروز وقالت : « أما انا فلم  
استطع الخروج ، »

ضحكت ثانية : « لم أكن أرغب فى الخروج كذلك .  
لكنى خرجت ، لأننى اعتقدت ان ذلك من واجبى »

فردت قائلة : « وكذلك من واجبى ايضا — قولى لى ،  
ما شكله ؟ »

— شكله .. اوه .. لا أدري ! لا يشبه احدا !

فريدت : لا يشبه أحدا ؟ !

— لم يكن يرتدى قبعة ..

وفجأة أصبح وجهها جادا جدا ، وبسرعة اكملت الصورة : شعره أحمر ، أحمر جدا ، مجعد ، ووجهه مستطيل شاحب . ملامح وجهه واضحة مباشرة . حاجباه أثقل من شعره ويتحركان الى أعلى وأسفل كثيرا . . عيناه غريبتان ، حادتان ، صغيرتان لكنهما ثاقبتان . . فمه واسع وشفاه غليظتان ، طويل . . مفرد الجسم ، نشط لكنه من المستحيل ولا يمكن ! أن يكون سيدا ؟ !

عندما كنت اتكلم شحب وجه رفيقتي وجمعت عيناها وانفقر فاما وصاحته : « سيد ، سيد ، أياكون هو ؟ » .

فسألتها : « أذن ، هل تعرفينه ؟ »

— لكن هل كان مظهره محترما ؟

— أوه جدا !

فواصلت : « وماذا كان يرتدى ؟ »

فأجبت : كان يرتدى ملابس شخص آخر . ملابس  
محترمة ، لكنها لاتخصه !

ضحكت بهستيرية : انها ملابس سيدى !

- انن ، فانت تعرفينه !

فصاحت : « انه كوينت !! »

- كوينت ؟!

- بيتر كوينت .. خادم السيد ، خادمه الخصوصى  
عندما كان هنا .

- عندما كان السيد هنا ؟

- لم يكن يرتدى قبعة أبدا ، لكنه بالفعل كان يرتدى ؟  
حسن ، لقد فقد السيد معطفين أو ثلاثة من معاطفه ! كان  
هما الاثنان هنا العام الماضى . ثم رحل السيد .. وبقى  
كوينت وحيدا .

- تعنين انه عاش هنا وحده ؟

- كلا . كان وحيدا معنا . كان مستولا عن «بلاى» ..

— وماذا حدث له ؟

ترددت لفترة طويلة • ثم قالت : « لقد ذهب أيضا » •

سألتها : « ذهب الى أين ؟ »

وأصبح تعبير وجهها غريبا في تلك اللحظة وقالت :

« يعلم الله ، الى أين ذهب ! لقد مات ! »

صعقت : « مات ؟ ! »

تحركت قليلا ثم وقفت امامي بثبات • وقالت في نبرة

كلها تعجب : « أجل • مات مستر كوينت !! » •



## - ٦ -

لم نذهب الى الكنيسة ذلك المساء . وبدلاً من ذلك  
ذهبنا الى حجرة الدراسة وأغلقنا على أنفسنا وقمنا ببعض  
الصلوات والدعوات .

بعد ذلك ناقشنا مشكلتنا . أو بالأحرى مشكلتي أنا أكثر  
من السيدة جروز . فهي شخصياً لم ترأى شيء ولا حتى  
مجرد شبح زائف ولا تمتدق أيضاً أن هناك أحداً آخر في  
البيت قد رأى ذلك . وأصبح لامفر من قبول أن شبح كوينت  
قد ظهر لى فقط . فقد كان وصفى له صادقاً تماماً فلم  
تستطع أن تشكك فى كلماتى . ونتيجة لذلك فقد أظهرت  
نحوى رقة وعطفاً لا يمكن أن انساها أبداً .

وقررنا عندئذ أن نتحمل عبء هذا الموضوع سوياً .

وكنت على علم بأننى ساقاسى كثيرا لمصلحة الأطفال . لا بد  
أن بى شيئا مختلفا ، فقد كنت استثناء ضمن ثمانية أو تسعة  
أفراد يقيمون فى البيت . لكننى حصلت على نوع من الراحة  
لمعرفة أنه فى استطاعتى التغلب على ذلك ، ومنذ ذلك الوقت  
فصاعدا كنت أحكى كل شيء للسيدة جروز . واستطيع أن  
أن أتذكر بوضوح تلك القوة المفاجئة التى حطت على قبل  
أن نفترق للنوم . . . فلقد رويت لها ما حدث عدة مسرات  
وبالتفصيل .

— تقولين أنه حضر بحثا عن شخص آخر . وأنه لم  
يحضر لرؤيتك ؟

فأجبت : « أعتقد أنه كان يبحث عن مايلز »

— لماذا تعتقدين ذلك ؟

— لدى احساس أكيد . الا تتفقين معى فى ذلك ؟

قلم تبد اعتراضا وقالت : ماذا يحدث لو فرض وراه  
مايلز .

صحت قائلة : ذلك مايريده الرجل . يريد أن يظهر  
لها ! .



عندئذ صممت على حماية الطفلين • أن أجعل نفس دائما بمثابة حاجز بينه وبينهما • • كنت متأكدة تماما انى سوف اراه مرة ثانية ، وانه ليس فى مقدوره ان يصيبني باى اذى • وبمساعدة السيدة جروز لى اعتقدت ان فى امكانى ان اتغلب على المشكلة • ومازلت اذكر احد الاشياء الأخيرة التى قلتها لها فى تلك الليلة •

— لكن اليس من الغريب ان الطفلين لم يذكرنا شيئا ابدا • • • ؟

وترددت للحظة • •

فأكملت السيدة جروز مايدور فى فكرى : • • • ان كوينت كان هنا ، وأنهما كانا معه ؟

— لم ينطقا بكلمة عنه ابدا ، ولا حتى اسمه •

— حسن ، فلورا لاتذكره بالطبع • فلقد كانت صغيرة جدا • ولاتعرف أى شيء عنه •

— اذا كنت تعنين موته ، فربما لاتذكر • لكن مايلسز لابد انه يذكر •

فتوسلت الى : « اوه ، ارجو الا تسأليه ، يا انسة » .  
- لا داعى لخوفك . لكنها مسألة غريبة . اليس كذلك ؟

- هل لأن مايلز لم يقل لك شيئا ابدا عن كوينت ؟

- نعم . خاصة وقد قلت انهما كان صديقين حميمين .

فاعلنت اعتراضها : « اوه ، لم تكن الصداقة من جانب  
الطفل ، كانت وجهة نظر كوينت .. أعنى ان يلعب معه  
ويفسده » .

توقفت ثم أضافت : « لقد كان كوينت متحررا جدا » .

تخيلت وجه الشبح وانتابنى فجأة شعور بالتقزز وقلت :  
« متحرر جدا مع مايلز ؟ »

- « بل ، متحرر جدا مع كل شخص ! »

فهت من ذلك ان كوينت كان له بعض التأثير السيئ  
على الآخرين فى البيت . لكنى عرفت أيضا ان « بللى »  
يتمتع بسمعة طيبة بين الخدم وأهل القرية . ولم تكن هناك  
حكايات سيئة مما تروى عادة عن مثل هذا النوع من البيوت  
القيمة .

- وهكذا فانت تعترفين اذن ، بأن شخصيته كانت سيئة ؟

- حسن ، انا كنت اعرف ذلك .. لكن السيد لم يكن يعرف .

- ألم تقولى له ابدا ؟

- انت تعرفين يا آنسة ، انه لا يجب الشكوى . وكان يتضايق جدا من أى شيء من هذا القبيل ، واذا كان الناس بالنسبة له يبدون على مايرام ..

- فلا يفسح أى مجال للشكوى ، نعم ، اتفق معك ، فهو يحب أن يتفادى كل المشاكل ويجعلها بعيدة عنه . لكنى اعتقد لو انى كنت مكاثك لقلت له !

- اعترف باننى كنت مخطئة . لكننى فى الحقيقة كنت خائفة .

- وما الذى كنت تخافين منه ؟

- من الاشياء التى كان من الممكن أن يفعلها ذلك الرجل فقد كان كوينت ماهرا جدا ، وحادا جدا .

- ألم تخافى من تأثيره ؟...

- تأثيره ؟ !

كررتها بشيء من الألم .

- اقصد تأثيره على الطفلين . فقد كانا تحت رعايتك .

- أوه ، كلا ، لم يكونا تحت رعايتى . فقد كان السيد

يثق فيه وأرسله الى هنا لأن صحته كانت معتلة . لأن جو

الريف كان من الممكن ان يفيد . كان مسئولاً عن كل شيء

حتى الطفلين .

أذهلتنى هذه الأنباء . حتى اننى استعبرت لأخفى

وجهى وقلت : «أتعنين أن هذا الرجل كان مسئولاً عنهما ؟

كيف أمكنك أن تطيقى ذلك ؟ »

- لم أستطع .. لم أستطع .. ولا أستطيع حتى الآن !

وانفجرت المرأة المسكينة فى البكاء وسرعان ما تركتني

بسرعة .

وابتداء من اليوم التالى حرصنا على مراقبة مايلز وفلورا

عن قرب . وكنا أحياناً نعود الى مناقشة الموضوع خلال

الأسبوع أنا والسيدة جروز . واعتقدنا أننا ناقشنا كل شيء ، لكن كان هناك دائما سؤال فرغب كل منا أن تطرحه مرة ثانية . فلقد كان لدى احساس غريب بأن هناك شيئا ما لم تقله لى . شيء لم يكن واضحا حتى بالنسبة لى ، حتى أسألها عنه سؤالا مباشرا . أنا لا أشك فى اخلاصها ، لكن اخفاقها فى القيام بذلك كان مبعثا للخوف بالتأكيد .

كنت اقضى أوقاتا طويلة من الليل يقظة . افكر مليا فى الحقيقة . لقد أعطونى صورة لرجل حى . . . وبالقالى لم افكر فى الرجل الميت ! . . . ولم تكن صورة لطيفة . لقد قضى عدة شهور فى « بلاى » ، حتى انتهت تلك الفترة الآثمة صباح أحد أيام الشتاء . اذ وجد بيتر كوينت ميتا على الطريق المؤدى الى القرية . كان هناك جرح فى أحد جوانب رأسه ، قيل أنه من أثر سقوطه على حجارة الطريق فى الظلام . كان يشرب فى حانة القرية . واعتبر البوليس موته مجرد حادث . لكن اثناء التحقيق قيلت أشياء غريبة منها : ان كوينت كان يعيش حياة غير طبيعية ، وان تصرفاته مشكوك فيها ، وأنه كان يعانى من بعض اضطرابات غير معروفة فى عقله .

عندئذ هيات نفسى لآكون بمثابة سياج حول الطفلين .  
فلقد كان واجبى هو حمايتهما من وجود كوينت الشرير  
والآ يشاهدا الا القليل من الكثير الذى شاهدته . بل وتمنيت  
بالطبع ، الا يريا شيئا ، وأن يظل كوينت مخفيا عن ناظريهما  
كما هو الحال بالنسبة للسيدة جروز . .

كانت تلك الفترة فترة ترقب وقلق ، لكن انتظارى لم  
يستمر طويلا حتى تحول هذا القلق الى برهان مخيف !!

فقد حدث بعد ظهر آحد الأيام عندما كنت آجلس وحدى  
مع فلورا فى الحديقة . . كنا قد تركنا ما يلز فى البيت  
جالسا على آحد المقاعد الوثيرة بجوار النافذة لينهى كتابا ،  
وكنت سعيدة لتشجيعه على ذلك . فقد كان من آحد عيوبه ،  
ربما ، انه كان يترك واجباته دائما دون أن ينهيها ! آما  
فلورا فكانت تريد الخروج للتمشى ، ومن ثم خرجنا سويا  
للمشى عند البحيرة .

وكالعادة كنا نلعب سويا . ولم آكن أبدا آشارك  
تلامذتى بحماس شديد فى هذه الآلعاب . لأنهم دائما



كنت أجلس مع فلورا في الحديقة ..

ما يكونون على راحتهم بدونى ، لكن كان لابد أن أبدى نوعا من التوافق حتى أبدوا شخصية جذابة بالنسبة لهم . كانوا لا يتوقعون حتى أن أفعل أى شيء أبدا . ونسيت ما كنت عليه فى هذه المناسبة ، لكن كل ما أذكره أثنى كنت هادئة جدا وأشعر بأهميتى ، على حين كانت فلورا تلعب بنشاط زائد . . . وفى ذلك الحين كنت جالسة على أريكة حجرية قديمة بجوار البحيرة أقرا خطابا طويلا تسلمته هذا الصباح من قبل والدى .

لهجة انتابنى احساس غريب بأننا مراقبان ، لم أرفع نظرى الى أعلى لكننى ركزت فكرى وحاولت أن أقرر ما يجب أن أفعله . . . أحسست احساسا أكيدا بوجود شخص غريب . . . ومازلت أذكر الاحتمالات التى جالت فى ذهنى ، ربما يكون شخصا من أفراد البيت ، أو رسولا من القرية أو صبي البقال لكن احساسا ما كان يؤكد لى أن الأمر ليس كذلك .

وفجأة أصبحت فلورا ساكنة ، لكن للحظة فقط . ثم شرعت فى الغناء وبدلا من التطلع الى البحيرة ، أخذت أنظر مباشرة الى الطفلة . وانتابنى القلق إذ ربما تكون



قد أحسست بوجود الغريب وتوقعت أن تصدر منها سبيحة  
اندهاش أو خوف . لكن لم يحدث شيء وعندما نظرت إليها  
كانت تقف وظهرها الى البحيرة . والتقطت قطعتين من  
أعواد الخشب كانت تحاول أن تصنع منهما قارباً صغيراً .  
بعدها أخذت أنظر الى الماء



## - ٧ -

عدت بأسرع ما يمكن لمقابلة السيدة جروز . وصيحت  
قائلة :

- الطفلان يعرفان ! انهما يعرفان ، يعرفان وهذا شيء  
مقلق !

فوجدت : « يعرفان ؟ ما الذى يعرفانه ؟ »

- يعرفان الذى نعرفه تماما .. وربما اكثر ! .. منذ  
ساعة مضت كنت انا وفلورا عند البحيرة ، ورات ما رايناها !  
انا اعرف انها رات !  
- هل قالت لك ؟

- لم تتعلق بكلمة .. وهذا أسوأ ما فى الموضوع ..  
لكننى متأكدة تماما انها راتها !

- رأتها ؟ !

- أجل ، كانت امرأة هذه المرة ، لكنها بدت سييرة  
تماما مثل الرجل . كانت ترتدى السواد . ووجهها شاحب  
بدرجة مخيفة . . . أوه ، لا أستطيع أن أصف لك كيف . .

- أين رأيتها ؟

- على الضفة الأخرى من البحيرة . كنت جالسة على  
مقعد حجري قديم ، وكانت الطفلة تلعب . ثم فجأة ظهرت !

- كيف ظهرت ؟ . . ومن أين ؟

- ظهرت فجأة ووقفت هناك . كان لدى احساس أن  
شخصا ما يراقبنا حتى قبل أن أراها .

- هل سبق أن رأيتها من قبل ؟

- أبدا . لكن الطفلة رأتها من قبل . انها تعرفها .  
وانت تعرفينها أيضا . أعتقد أنها المربية السابقة . . تلك التي  
ماتت !

- الآنسة جينزيل ؟

- نعم !

- لكن كيف يمكنك أن تعرفي ؟

- لا أدري - لكن فلورا تعرف - انها متأكدة . أرجو ألا تسألها . فسوف تقول انها لم تر أى أحد . سوف تكذب عليك !

- آه ، لكن كيف تستطيعين قول شيء مثل ذلك ؟  
فلورا عمرها ثمان سنوات فقط . . ؟

- أعتقد اننى مدركة لذلك تماما . ان فلورا لا تريدنى أن أعرف . ولو أنك كنت موجودة عند البحيرة ، لأمكنك التحقق من ذلك . هناك سر عميق بخصوص هذا الموضوع وكلما افكر فيه أكثر كلما ازداد خوفا !

- هل تعنين أنك تخشين من رؤيتها ثانية ؟

- أوه ، كلا . كل ما أخشاه ان تراها فلورا ، فى حين لا أراها أنا !

بدت عليها الحيرة وقالت : « أنا لا أفهم . ينبغي ألا

نشغل ذهننا بذلك ! وعلى كل . فربما تكون الطفلة غير مدركة . . .

وحاولت ان تلقى بنكته : من المحتمل انها معجبة بذلك !

- طفلة في الثامنة . . تعجب بمثل هذه الأمور ؟

- حسن ، الا يثبت ذلك انها لاتدرك ابعاد المسألة ؟

فقلت : « اوه ، ترجو ان يكون الامر كذلك . اما اذا كان العكس فهذا يدل على وجود شيء مزعج ، لأن المرأة تجسّد للمشر كله .

أطرقت السيدة جروز برأسها الى الأرض لمدة دقيقة ، ثم رفعت بصرها الى ثانية وقالت : « أخبريني كيف عرفت ذلك ؟

- من منظر وجهها . . من الطريقة التي كانت تنظر بها .

- تقصدين الطريقة التي نظرت بها اليك . ؟

- كلا ، كلا . فهي لم تنظر الى على الاطلاق . بل كانت مهتمة بفلورا فقط .

– وكيف كانت تنظر الى الطفلة ؟

– أه ، بنظرة قاسية ! كيف يتسنى لى ان أصفها ؟  
كانت تنظر اليها باصرار مرعب .. للسيطرة عليها !  
سكتت السيدة جروز لحظة ثم قالت : « هل كانت المرأة  
تلبس السواد ؟ » .

– نعم . كان منظرها بائسا ومشوشا ، لكنها كانت  
تحلى بجمال غريب . أوه ، نعم ، جميلة حقا .. لكنها  
شريرة !

وتكلمت السيدة جروز ببطء وقالت : « كانت الأنسة  
جيزيل شريرة حقا » .

وامسكت يدي وضغطت عليها برقة . وقالت بعد لحظة :  
« لقد كان كلامها شريرا » .

فأجبت : « الآن انهم السبب فى عدم كلامك من قبل .  
لقد كنت وفية لها . لكنى أعتقد انه يحتم عليك الآن ان  
تقولى لى . ما السبب فى موتها ؟ هل كانت هناك علاقة  
بينها وبين كرينت ؟ » .

- نعم • بل أكثر من ذلك !
- بالرغم من اختلاف ...
- ... مستواهما • ومركزهما • نعم • بالرغم من كل شيء • كانت سيّدة محترمة !
- ما زلت اذكر تعبير وجهها وهي تقول : « نعم - كانت سيّدة محترمة » •
- وكان هو مجرد خادم خاص •
- ولم اشأ أن أجعل السيّدة جروز تشعر بالخجل بقول المزيد عن وضعيّة الخدم الاجتماعيّة ، فاكثفيت بقولي : لقد كان شخصاً حقزاً •
- فقالت : لم أعرف انساناً يماثله • فلقد كان يتصرف بما يرضيه ويسعده هو فقط •
- مع الأنسة جيزيل ؟
- أجل ، ومع الخادّات ايضاً •
- لكن لا بد انها سمعت له بذلك • لا بد ان ذلك كان برضاها •



— كان الأمر كذلك • لكنها كانت تعاني منه فيما بعد •  
يألها من امرأة مسكينة !

قلت : « اذن فانت تعرفين سبب موتها »

— كلا • لا اعرف شيئا عن ذلك • ولم ارد ان اعرف •  
وكننت سعيدة من اجلها عندما رحلت من « بلای » •  
— لكن لديك فكرة ما ..

— انا اعرف بالطبع السبب الحقيقي لتركها المكان  
هنا • لم تستطع البقاء • عليك ان تتخيلي فقط ما يمكن  
ان يحدث للعربية هنا ! اوه ، شيء فظيع !

وكننت انا التي انفجرت بالبكاء هذه المرة • فأحاطتني  
بذراعيها الحانيتين • وصحبت قائلة : ما الذي يمكنني ان  
افعله لانقاذ المطفلين • • لحمايتهما ؟ ان الأمر أسوأ جدا  
مما كنت أتخيل !!



## - ٨ -

بعد أن تركت السيدة جرور عدت الى الطفلين . . فقد  
كان العلاج الأمثل لقوتري أن أقوم بالتدريس لهما في حجرة  
الدراسة .

واقبلت فلورا ناجيتي على الفور ، تتطلع في عيني  
وقالت بجدية : « ماذا حدث ؟ لماذا كنت تبكين ، ؟ »

كنت أظن أنني قد محوت آثار الدموع من عيني ، لكنني  
كنت سعيدة وقتها لأنني لم أفعل ذلك . فنظرت الى عينيها  
الزرقاوين الصافيتين ، وتأكدت تماما أنه ليس بهما أي نوع  
من الخداع الملتصود . كانت عيناها من الجمال بحيث  
لا تسمعان لأي نوع من الخداع .

وعندما أصبحت قريبة من الطفلين ، لم أستطع تصديق

أنهما يعرفان أو يفهمان معنى الشر . وتلاشت شكوكي  
ومخاوفى عندما سمعت صوتيهما .

وفى وقت متأخر من الليل ، وبعد أن نام كل فرد فى  
البيت ، كان لى حديث مع السيدة جروز . عبرت لها عن  
مشاعري نحو الطفلين ، وشرحت لها كذلك مظاهر الخداع  
التي لاحظتها بعد الظهر بالمقرب من البحيرة .

قلت : لقد راعنى أن فلورا متعودة على لقاء هذه  
المرأة ! وأنا أعرف الآن أساليبها الصغيرة ! لقد رأت الآنسة  
جيزيل . . لكنها كانت تريدنى أن أعتقد بأنها لم ترها . فى  
نفس الوقت ، ودون أن يبدو عليها أى شيء ، كانت تتساءل  
عما إذا كنت قد رأيتها أم لا !

سألتنى السيدة جروز : « كيف يمكنك أن تتأكدى من  
ذلك ، فطفلة فى الثامنة لاتستطيع أن تفكر على هذا النحو ،

فأجبت : « أعرف من خلال تصرفاتها . كانت تحاول أن  
تحول انتباهى بعيدا عن الزائرة . فبدأت تغنى وتحدث  
الى نفسها . ثم أرتنى القارب الصغير الذى صنعتة . »

قالت : « فى الحقيقة ، انا لا استطيع فهم المسألة على الإطلاق ! »

لم اكن اتوقع من السيدة جروز بالطبع ، أن تصدق أى شيء يسيء الى فلورا . لكن لو اننا تعاونا سويا ، فلسوف اكون على يقين من شيء واحد .

سألتها : لكنك تصدقين اننى رأيت الآنسة جيزيل ، اليس كذلك ؟ فانا لم اكن استطيع وصف هذين الشخصين بوضوح ، اذا لم اكن قد رأيتهما . وقد تعرفت أنت عليهما فلورا من خلال وصفى .

— أعرف .. وهذا لايرقى اليه الشك . فلقد وصفت كرينت تماما ، وكذلك الآنسة جيزيل . لكن أوه ، كم أود أن ننساها !

وقلت : « اننى أبحث عن سبيل للهرب منهما ، أو على الأقل نتمود على هذا المخطر . ويبدو أن الطفلين متعودان تماما على ذلك ، وأن ذلك لايسبب لهما أى ضرر حتى الآن إلا اذا ... »

وترددت للحظة • فسألتني : « الا اذا ماذا »

— أنت تذكرين بالطبع خطاب مدرسة مايلز • وعندما ناقشنا المسألة ، قلت ان مايلز يكون سيئا في بعض الأحيان لكنني منذ عرفتة فهو دائما ما يتصرف بشكل طيب • لكن المدرسة اكتشفت بعض الاخطاء التي صدرت منه ، وأنت تعرفين على الأقل مثلا واحدا من تصرفاته السيئة فقلولي لي ماهو ، •

فأجابت : « هو تعلقه بكويت • وكم كان يؤرقني جدا وجودهما دائما مع بعضهما • واستمر ذلك لعدة شهور • ولم يكن من الصواب اطلاقا ان يكونا بمثل هذه الصداقة الحميمة ، وتحبث الى الأنسة جيزيل بخصوص ذلك » •

— وماذا قالت ؟

— قالت ان ذلك ليس من اختصاصي • بعد ذلك قلت لمايلز ، انه لابد لذلك الشباب ان يعرف مركزه في هذا البيت

قلت : « كنت تقصدين بذلك أن كوينت مجرد خدام خاص ، وليس من المناسب أن يكون صديقا له » .

- أجل ، ولم تعجبني اجابته على . وكان يتناقش معي بخصوص ذلك في كل مناسبة . . كنت أعرف أنهما كانا يقضيان ساعات طويلة أحيانا ، كما لو أن كوينت كان مسئولا عنه . لكن مايلز كان يقول أن ذلك ليس صحيحا .

- فهمت . كذب عليك إذن ؟

- أعتقد ذلك . في حين أن الأنسة جيزيل لم تكن تمنعه من مرافقة كوينت . لم تكن تهتم بالأمر على الإطلاق .

- ألم يذكر مايلز أبدا وجود أى علاقة بين الأنسة جيزيل وكوينت ؟ هل تعتقدين أنه كان علم بعلاقتهما ؟  
فصاحت : أوه ، لا أعرف . . لا أعرف !

- أنا أعتقد أنه ربما كان على علم بذلك فعلا ، وكان يحاول أن يخفى ذلك عنك . فطالما كذب عليك ، فلا بأس بشيء من الخداع .

فقالَت السيدة جروز : آه ، ذلك ليس شيئا حسنا !

فاجبت : « وخطاب المدرسة أيضا ليس بالشئ الحسن  
كذلك » .

— ... لكن اذا كان هو يمثل هذا السوء ، فكيف يكون  
اذن يمثل هذه الطيبة الآن ؟ !

فقلت : « فعلا ، كيف ، كيف ، كيف ؟ أرجو أن تعيدى  
على هذا السؤال مرة أخرى لأننى لا أستطيع الاجابة عليه  
الآن . فيكفينى ان اعرف أنه بينما كان مع ذلك الرجل . »  
— كانت فلورا مع المرأة . الوضع مناسب لهم جميعا .

ولقد عبرت السيدة جروز بتكلمتها افكارى عن اسوأ  
مخاوفى . لم اشرح لها الأمر واكتفيت بقولى : « ينبغي على  
مراقبتهما الآن أكثر من أى وقت مضى » .

نهضت لتنصرف . وعند الباب قالت : أنت بالتأكيد  
لا تتهمين مايلز بمقابلة كوينت سرا ؟

قلت : « انا لم اتهم أحدا بعد . . يجب أن انتظر حتى  
ارى ماذا يحدث !! » .



## - ٩ -

انتظرت وانتظرت • وبمضى الأيام أصبحت أكثر  
هدوءا • ولم تمض أيام كثيرة ، خلت من أى أحداث جديدة  
حتى استعاد ذهنى صفاءه مرة ثانية •

لقد جعل الطفلان عملى بمثابة سعادة كبيرة لى ،  
وسرعان ما اكتشفت مدى اجتهادهما • ولم يكن مصدر  
سعادتى هو أداء واجباتهما المدرسية ، بل كانا لا يكلان أبدا  
عن ايجاد أى وسيلة جديدة لتسليتى واسعادى •

كانا يحببان رواية الحكايات لى ، أو قراءتها لى •  
كانا يمثلان بعض المشاهد الصغيرة لامتاعى • كما بهرنى  
ايضا ذاكرتهما المدهشة • فكانا يستمعان عن ظهر قلب  
اشعارا طويلة كنا قد قرأناها سويا ، واعتقد أنهما حفظا هذه

الاشعار سرا لمجرد اسعادي . تقدم مايلز تقدما ملحوظا  
في دراسته ، ومن المحتمل اننى بسبب ذلك لم أشغل فكرى  
بالبحث عن مدرسة أخرى .

حتى بعد ان غادرت « بلاى » كنت أحاول اكتشاف تفسير  
معقول لمهاراته المذهلة . . بدا لنا أننا نعيش فوق سحابة  
ذهبية من النجاح والبهجة . كان يعزف على البيانو برشاقة  
وجمال ، وكنت اجلس لأستمع اليه ، أكثر مما كان ينبغي  
على المربية أن تفعل . . ويبدو أنه فى ذلك الوقت كان واقعا  
تحت تأثير قوى على ذهنه ، جعل هواسه متيقظة كالنصل  
الحاد اللامع .

وكان من السهل على أن أوْجل البحث عن مدرسة  
بالنسبة للصبي الصغير ذلك أنه لم يفقد شيئا ببقائه فى  
البيت وهذا ما جعل الخطاب الذى أرسله ناظر المدرسة يظل  
سرا كبيرا .

لم انس بطبيعة الحال الأفكار الغريبة التى جعلتنى  
اخته أفكر فيها . فتجربتى معها هند البصيرة شجعت

اهتمامى بكلا الطفلين ، وكنت اتساءل عما اذا كان ضمنا  
سبب ذلك .

كانت هناك اوقات لا استطيع فيها ان اقاوم ابداء حبي  
لهما ، لكنى دائما كنت اخاف بعض الشيء من فعل ذلك ،  
فربما يلاحظان الشفقة التى يتضمنها هذا الحب . واكتشفت  
صدفة ملامح اتفاق سرى بينهما : فعلى حين يقوم أحدهما  
بشفلى يتسلل الآخر الى الخارج . لكن فى معظم الأحيان  
كنت اتواجد مع كليهما ، ولم يحدث أى شيء غير عادى .

على الأقل لم يحدث شيء غير عادى لمدة تزيد على  
ثلاثة أسابيع . ثم حدث ذات مساء ان شعرت بلحمة  
باردة غريبة فى البيت !

كنت فى حجرة النوم التى اشارك فيها فلورا ، لكننى لم  
اكن قد ذهبت الى الفراش بعد . كان المصباح مضيئا ، وانا  
اجلس على كرسي مريح ، اقرا . فقد كانت فى « بلاى »  
حجرة مليئة بالكتب القديمة ، كثير منها كان ممنوعا من  
دخول بيتنا الهادئ ولذا فقد اثارت فضولى . وانكر ان

الكتاب الذى كنت اقراه كان بعنوان « كفاح اميليا » واذكر كذلك ان الوقت كان متاخرا جدا ، لكنى كنت يقظة تماما . وكانت فلورا نائمة بالطبع منذ عدة ساعات فى سرير صغير بجوار سريرى ، وكنت قد أسدلت ستائر السرير ( الناموسية ) . ورغم اننى كنت مشدودة تماما الى الكتاب الا ان قوة شديدة جعلتنى اتطلع فجأة الى باب غرفتى .

انصت للحظة ، متذكرا الأصوات التى سمعتها فى الليلة الأولى لوجودى فى البيت . نحيب الكتاب جانبا بحرمن ، والنقطة المصباح وخرجت بهدوء من الغرفة واغلقت الباب خلفى .

ودون أن أعرف لماذا ، سرت مباشرة عبر الممر الى النافذة الطويلة الموجودة بأعلى السلم . وعندما وصلت اليها ، حدثت ثلاثة أشياء دفعة واحدة . هبة ريح فجائية أطفأت المصباح الذى فى يدي . ضوء القمر المستقيم يخترق النافذة ، ولا حظت وجود شخص على بسطة السلم . عرفت فى الحال انه كوينت . وكان تقريبا قد وصل الى النافذة ، ولكن عندما رانى توقفت .

نظر الى بنفس النظرة التى نظر بها الى من فوق البرج  
ومن خلال النافذة • عرفنى تماما مثلما عرفته • ووقفنا  
وجها لوجه تحت ضوء القمر البارد • وفى هذه المرة تعرفت  
عليه تماما ككائن حى كريب وعدو خطير • لكن لم يكن ذلك  
هو الشيء الغريب فى لقائنا ، انما الاغرب من ذلك هو اننى  
لم اشعر بأذى خوف •

لقد اصابنى بالطبع الكثير من الألم والانزعاج بعد تلك  
اللحظة الاولى ، لكن شكرا لله على اننى لم اشعر بالخوف •  
وعرف اننى لست خائفة منه • ولم اكن اظن فى نفسى ابدا  
ان اكون بمثل هذه الشجاعة الفائقة ، وكل ما اعتقده ان  
هناك مؤثرات اخرى تفوقت على مشاعرى العادية • وتأكدت  
اننى لو وقفت امامه بعزم ، فلن يصيبنى بأذى • وبينما  
كنت اقف هناك ، بدا لى الأمر وكأنه لقاء بانسان مرعب  
او مجرم او شخص مجنون خلال الليل وفى بيت أهله ينام •  
ولو كنت قابلت مجرما فى نفس المكان ونفس التوقيت ،  
لكننا تبادلنا الكلام على الأقل مع بعضنا • لكن كوينت وأنا  
كنا صامتين ، وهذا هو الجزء غير الطبيعى فى لقائنا •

لم نتكلم أو نتحرك قيد أنملة ، وتمر الوقت بطيئاً .  
لا أستطيع وصف ما حدث بعد ذلك ، فيما عدا أن الشخص  
استدار وبدأ يختفي داخل الصمت ذاته . رأيتني يستدير  
بوضوح ، بالخبيط وكان كوينت خادم حي ، أصدرت له  
أمرًا بالانصراف . وسرت عبر بسطة العلم في الظلام . .

استغرق الأمر منى عدة لحظات لأدرك تماما أن زائرى  
قد اختفى . بعدها عدت الى حجرتى .

اضأت المصباح ثانية فראيت على الفور سرير فلورا  
الصغير خاليا . كانت الستائر ( الناموسية ) مسدلة حوله ،  
لكننى استطعت أن أرى من خلال قماشها الخفيف أن الطفلة  
ليست موجودة فى السرير . فى تلك اللحظة انتابنى الخوف  
حقيقة !

التفت بسرعة ناحية صوت صدر من ناحية النافذة  
ولشد ما ارتجت عندما ظهرت فلورا من خلف الستائر .  
كانت تقف هناك فى قميص نومها ، تظهر قدميها الصغيرتان  
من تحته . بدت جادة جدا . وعندما تحدثت الى ، فقدت

فى التو كل المميزات التى كسبتها من مقابلتى الأخيرة مع  
كوينت ، وأحسست بالخسارة بفداحة .

سألتنى : أين كنت فى ذلك الوقت المتأخر من الليل ؟

وبدلاً من سؤالها عن سبب تركها لسييرها وذهابها  
إلى النافذة ، أخذت أبرد لها سبب غيابى ، ولم يكن ذلك  
بالشمس الهين . أما هى فقد بررت تصرفها ببساطة  
وبعاس . فلقد اكتشفت فجأة ، وهى راقدة هناك ، أننى  
خارج الغرفة ، فنهضت لقرى ماذا حدث لى .

فى ذلك الوقت كنت جالسة على مقعدى ثانية ، فاتجهت  
ناحيتى مباشرة ، وجلست على ركبتى ، وانعكس ضوء  
المصباح على وجهها الجميل . سألتها : هل اعتقدت أننى  
كنت أتمشى فى الحديقة ؟

ابتسمت لى : حسن ، ظننت أن هناك شخصاً ما .

قالت ذلك وكان نظرها مثبتاً على .

— وهل رأيت أحداً ؟

فاجابت ببطء : « أوه ، بالطبع لا . »



فى تلك اللحظة كنت فى غاية القلق ، وتأكدت بكل صدق  
انها كذبت على . أغلقت عيني لكى اقاوم الفكرة التى  
داهمتني فجأة . لماذا لا أخبرها توا اننى اعرف سرها ؟  
لماذا لا أقول لها : « لقد رأيته ، أنت رأيته ، وأنت تشكين  
فى اننى اعرف ! فلماذا اذن لاتخبرينى بكل شيء ؟ لو انك  
قلت لى ، فيمكننا اذن ان نشترك فى المشكلة . بل ويمكننا  
ان نعيش سويا هذا الشيء المزعج ، وربما نتعلم معنى قدرنا  
الغريب ؟ »

لكنى لم أستطيع قول ذلك . وهكذا واصلت معاناتى .  
وقفت واتجهت ناحية سريرها وسألتها : « لماذا أسسدت  
سقائر السرير » الناموسية ، مرة ثانية ؟ حتى تجعلينى  
اظن انك مازلت فى السرير ؟ »

فكرت فلورا فى ذلك ثم قالت بابتسامة : « لأننى لم أرد  
ازعاجك »

— لكنك كنت تظنين أننى قد خرجت .

لم يصحبها أى نسوع من الحيرة . ونظرت الى لهب

المصباح واجابت بسهولة : اوه ، نعم فقد كان من المحتمل  
ان تعودى ثانية ، وها أنت قد عدت !

ثم ذهبت الى الفراش ، وجلست انا الى جوارها لفترة ،  
امسك يدها حتى راحت فى النوم اخيرا .

ولك ان تتخيل ما شعرت به ، خلال الليالى التالية منذ  
ذلك الوقت . كنت ابقى متيقظة حتى لا اقوى على فتح عيني  
وكنت اختار اللحظات التى تكون فيها فلورا مستغرقة فى  
النوم واخرج الى المر واسير فيه بهدوء حتى اصل الى  
النافذة حيث قابلت كوينت . لكنى لم اتقابله هناك مرة  
ثانية ، وكنت اقول لنفسى ربما لن اراه مرة ثانية ابدا فى  
هذا البيت .

لكن ذات ليلة ضاعت منى همامرة مختلفة على بسطة  
السلم .

كانت بشائر النهار قد طلعت بالفعل وظهرت من خلال  
النافذة . وتطلعت الى اسفل وعلى الفور تعرفت على ملامح  
سيدة تجلس على درجة من درجات السلم السفلية وظهرها

لى • كان جسدها مهنيا الى الامام وتمسك راسها بين يديها • تطلعت اليها للحظة قبل ان تخفى دون ان تلتفت حولها • لكننى كنت اعرف اى وجه مرعب كنت ساراه لو اننى كنت فى اسفل ، وتساءلت عما اذا كنت لن اخاف منها مثلما حدث لى مع كوينت •

ومرت الأيام والليالى • وفى الليلة الحادية عشرة بعد مقابلتى الأخيرة مع كوينت انتابنى شيء من الخوف ، لأن ما حدث شيء لم أكن أتوقعه ، وصدمنى بعنف •

كنت مجهدة جدا حتى اننى نمت مبكرة على غير العادة لكن فى حوالى الواحدة استيقظت فجأة ، كما لو أن أحدا مزنى بيده ، فقممت جالسة فى السرير • فوجدت المصباح الذى تركته مشتعلا قد انطفأ فى تلك اللحظة ، وأحسست أن فلورا هى التى اطفأته بالتأكيد • نهضت وذهبت الى سريرها فى الظلام • كان السرير خاليا • اشعلت عمود ثقاب وامكنتى رؤية شبحها خلف ستائر النافذة •

لقد تركت الطفلة سريرها ، واطفأت المصباح ، واتجهت

ناحية النافذة لتتطلع الى الخارج . لم تزعجها حركتى على الاطلاق . لقد كانت محتبئة ومحتمية خلف الستائر ، كان من الواضح ان شيئاً ما بالخارج يجذب انتباهها . وكان لسطوع القمر كاملاً ، اثر فى مساعدتها على ذلك ، كما انه نبهنى الى شيء ما . من المحتمل انها تواجه الآن تلك المرأة التى قابلناها عند البحيرة وجها لوجه . كان مادار فى ذهنى ان اغامر الصخرة فى هدوء دون ان ازعجها ، واطل من نافذة اخرى يمكننى من خلالها ان ارى نفس المنظر . وصلت الى الباب واغلقت خلفى ، واخذت انصت من الخارج لآى صوت يصدر عنها . لكننى لم اسمع شيئاً .

وبينما كنت اقف فى الممر تطلعت الى باب حجرة نوم مايلى الذى كان قريباً منى . هل ادخل مباشرة واتجه الى نافذته ؟ لكنه سيخمن بالتاكيد سبب تطلعى من النافذة ، وربما يساعد ذلك فى حل اللغز ؟ . . . اتجهت الى الباب وتوقفت قليلاً . ربما يكون هو الآخر يحتفظ بسر التطلع من النافذة . لم يكن هناك لى صوت فى الحجرة ، ربما يكون مستغرقاً فى النوم . كانت المخاطرة بازعاجه كبيرة . لذلك لقد تراجعت .

كنت على يقين بأن هناك شخصا ما في الحديقة ، زائر  
كانت فلورا تعطيه كل اهتمامها . لكنه ليس الزائر الذى  
يهتم بمايلز ، كان هناك العديد من الغرف الخالية فى  
« بلاى » ، وكان من السهل العثور على حجرة ذات نافذة  
تطل على نفس المنظر مباشرة . وكانت الحجرة السفلية فى  
البرج القديم قريبة جدا منى ، فالتجيت مباشرة اليها . فهى  
تناسب غرضى تماما .

كانت حجرة كبيرة مربعة لم تستغل منذ عدة أعوام  
لكن السيدة جروز كانت رغم ذلك تقوم بتنظيفها ، ومفروشة  
بعناية كحجرة نوم . كنت دائما معجبة بها وأعرف طريقى  
اليها بسهولة . دخلت الحجرة وتوجهت الى النافذة حيث  
أصبحت الحديقة تحت ناظرى .

كان ضوء القمر يجعل الرؤية واضحة بشكل غير  
عادى . نظرت من النافذة ورأيت شخصا يقف فوق العشب  
بين صفين من اشجار طويلة . وبدأ حجم الشخص صغيرا  
من على بعد . كان يقف ساكنا هادئا ، يتطلع الى اعلى

البرج الموجود فوقى . وفهمت فى الحال أن هناك شخصا  
أخر فى البرج ، شخصا ما كان يقف فى المكان الذى رأيت  
فيه كوينت أول مرة . لكن الشخص البواقف فوق العشب  
لم يكن كوينت ولا الآنسة جيزيل . وعندما اكتشفت الحقيقة  
احسست بالصم لقد كان الشخص الذى كان ينظر الى أعلى  
من الحديقة هو مايلز نفسه !

وعلى الفور هبطت السلم وخرجت الى الحديقة .  
وعندما ظهرت فى ضوء القمر ، اتجه مايلز الى ، وامسكت  
بيده . ودون ان انطق بكلمة سرت به عبر الممرات المظلمة  
حتى وصلنا الى بسطة السلم التى ظهر فيها كوينت من قبل  
لأجله . وتوجهنا الى غرفته ، حيث الباب الذى وقفت عنده  
انصت وارتعد .

خلال سيرنا كنت اسأل نفسى عن المبررات التى  
سيقدمها . لا بد ان تكون اشياء لا يمكن ان اصدقها . لقد  
ارتكب خطأ بتركه المنزل فى منتصف الليل ، ولايستطيع ان  
يدعى ذلك مجرد لعبة . فى نفس الوقت كانت تواجهنى صعوبة  
انا ايضا .

فمنذ الآن وصاعدا سيعرف مايلز اننى كنت اراقبه ،

وتساءلت عن النتيجة التى يمكن أن تحدث بناء على تلك المعرفة .

دخلنا الى حجرتة . لم تكن المنقائر مسدلة . وضوء القمر ينير المكان ، ولم تكن بى حاجة لاشعال ثقاب كان فرش السرير مرتبا مما يؤكد عدم استعماله على الاطلاق . جلست على طرف السرير ، وقلت :

- يجب ان تخبرنى بالحقيقة يامايلز . لماذا خرجت ؟  
ماذا كنت تفعل هناك فى الحديقة ؟ !

كانت هذه اسئلة عادية جدا ، وعندما طرحتها عليه ، كنت اعلم ان باستطاعته ان يقول لى اى شىء يريد . اما اذا اعتبرت المسألة مجرد مظهر من مظاهر سوء السلوك ، فان هايلىز لن يخشى شيئا بعد ذلك . لكن لم يكن فى استطاعتي تماما فى تلك المرحلة الا ان اعتبر الأمر كذلك . وكان من المستحيل بالنسبة لى ، ان اشير الى موضوع كوينت الى طفل مثل هذا فى حجرة نومه وفى الساعة الواحدة صباحا .



مازلت اذكر ابتسامته المشرقة ، وعينييه الصافيتين ،  
وصوته الهادئ عندما قال : « لو اننى قلت لك عن السبب ،  
فهل ستقدرين الموقف » .

وكاد قلبى يقفز الى لسانى . ايقول لى عن السبب ؟  
ولم استطع قول اى شىء ، لكننى اجبته بحركة من راسى .

قال : « حسن ، لقد خرجت حتى تعتقدى ، لمجرد التغيير  
بأننى كنت ولدا سيئا » .

قال ذلك بكلمات حلوة مرحة ، ثم انحنى الى الامام  
وقبلنى . كان ذلك نهاية كل شىء بالنسبة لى تقريبا . لم  
استطع ان اطرح عليه المزيد من الأسئلة .

كان تبريره كاملا وتاما ، ولم يعطنى اى فرصة  
للمناقشة على الاطلاق . بذلت جهدا كبيرا حتى لا ابكى .  
ونظرت الى ارجاء الحجرة ، وقلت : « انت لم تغير ملابسك »

— كلا ، فقد كنت جالسا اقرا .

— ومتى نزلت الى الحديقة ؟

- فى منتصف الليل • عندما اكون سينا ، اكون سينا بحق •

- انهم • لكن كيف كنت متاكدا باننى سابحث عنك ؟

وكانت اجابته حاضرة : « لقد رتبت ذلك مع فلورا ،  
اذ كان عليها ان تنهض وتتطلع من النافذة » •  
- هذا بالضبط ما فعلته •

- وبالتالى ازعجتك • فنهضت لتعرفنى الى ماذا  
تنظر ، بعد ذلك رايتنى فوق العشب !

- اجل ، فوق العشب حيث كان من المحتمل ان تصاب  
بالبرد ! •

فابتسم وقال : « وذلك ما يجعلنى أسسوا •• اليس  
اليس كذلك ؟ »

- نعم ، اعتقد ذلك !

- لكن ارجو ان تفكرى فيما يمكن ان افعله !

عندئذ تركته وعدت الى حجرتى ، حيث كانت فلورا  
قد عادت الى سريرها ونامت • وذهبت الى سريرى ايضا

لكننى استلقيت متيقظة لمدة ساعتين أو ثلاثة ، الفكر فى  
ذلك الواقعة .

لم تتح لى فرصة عاجلة لاختبار السيدة جروز بذلك  
الموضوع . ذلك أننى أحكمت مراقبتى للطفلين لدرجة أنه  
كان من الصعب أن أقابلها وحدها . وشعر لكالنا أنه من  
المهم جدا ألا نظهر من خلال تصرفاتنا ، أننا منزعجان  
لذلك . فمما لاحظت فيه أن الخدم والطفلين سوف يتأكدون  
بأن هناك أمرا ما ليس على مايرام لو رأونا نقناقش على  
انفراد .

وكانت تصرفات السيدة جروز الهادئة خير معين لى  
فى ذلك الوقت ، فلم يكن يبدو على وجهها البشوش أى  
ملمح من ملامح الخوف أو الانزعاج وأنا على يقين أنها  
صدقت كل شيء قلته لها . لكن لسوء الحظ كان لديها  
قصور فى خيالها ، ولم تكن لتستطيع أن ترى فى الطفلين  
إلا جمالهما واشراقهما واجتهادهما ، وكانت مشاعرها  
تعتمد فقط على ماتستطيع رؤيته . وبالتالي فلو أن كوينت  
والآنسة جيزيل كان لهما تأثير واضح على مايلز وغلورا

فلم تكن السيدة جرور لتستطيع ان تلاحظه بالطبع ، والا  
لكان سلوكها قد تغير .. لقد عرفت ماكانت تفكر فيه .  
لقد كان كل ما تستطيع ان تفعله هو ان تمد ذراعيها  
البیضاوين امامهما وتنظر الى الطفلين فى هدوء وتقول  
لنفسها : « حسن ، حتى لو تحطمت طيبتهما ، فان شظايا  
هذا التحطم ستبدو لى على مايرام » .

وبمرور الوقت ، دون وقوع أى حادث له اثره ، فقد  
قررت ان الطفلين يمكن ان يقوموا برعاية نفسيهما ، وكurst  
كل عواطفها الآن لتلك الحالة الحزينة التى انقابت  
مريبتهما .

فى مساء اليوم التالى اخرجت مقعدين الى الشرفة  
الموجودة امام الباب الخارجى ، ودعوت السيدة جرور  
للجلوس معى . كان مايلز وقلورا يقرآن فى الحديقة على  
مبعدة قصيرة منا . نظرت اليهما كما تفعل عادة ، ثم  
التفتت الى كما لو كان من واجبهما ان تحاول رؤيتهما لما  
رايتهما انا . كانت على استعداد لسماع آخر اخبارى .

## - ١٢ -

أخبرتها بكل ما حدث في الليلة السابقة . وفي النهاية قلت لها : « ان كلماته الأخيرة لى ، هى أهم الكلمات جميعا بالطبع فلقد حسمت الموضوع حقيقة . فقد قال : أرجو أن تفكرى فيما يمكن أن إفعله ! » قال ذلك ليبين لى أنه فى أحسن أحواله الآن . وهو يعرف تماما ماذا « يمكن أن يفعل » . ونلظر المدرسة يعرف أيضا . وذلك هو السبب فى طرده من المدرسة .

فصاحت السيدة جروز : اذن . فقد غيرت من رأيك !

- كلا ، أنا لم أغير رأى . لكننى بدأت أفهم أكثر الآن . ان مايلز وفلورا يقابلان كوينت والآنسة جيزيل بصفة دائمة . ويمكنك التأكد من ذلك . ولو أنك كنت مع

أحد الطفلين في تلك الليالي الماضية، لكنك أدركت ذلك أيضا .  
والشيء الذي يجعلني متأكدة تماما هو صمتها التام .  
فلم ينطق أحدهما بكلمة أبدا عن كوينت أو الأنسة جيزيل .  
كما أن مايلز لم يتحدث إطلاقا عن مدرسته أو عن السبب  
في طرده . والغريب جدا الآن أن الطفلين يلتزمان الصمت  
التام بخصوص أمور أو أناس يعرفان عنهم كل شيء . .  
أوه . . من الممكن بالطبع أن نجلس هنا ونتطلع اليهما  
ونعتقد أنهما على مايرام . لكن الحقيقة هي أن مايلز لا يقرأ  
لغلورا ، وأنت تعرفين ذلك . هو يتظاهر فقط بالقراءة  
أنهما يتحدثان عن صديقيهما الميتين ، اللذين عادا اليهما !  
أنه يحكى لها عما رآه الليلة الماضية ! . أنا أعرف أنني  
أتكلم ، كما لو كنت امرأة مجنونة . لكن الأشياء التي  
رأيتها جعلت الأمر واضحا تماما بالنسبة لي ، وجعلتني  
أفكر في أمور أخرى كذلك .

لم تعرف السيدة جروز ماذا تقول . وأبقت بصرها  
على الطفلين كما لو كانا سبنداها . ثم قالت : « ماهي  
الأشياء الأخرى التي فكرت فيها ؟ » .

فأجبت : « انها تلك الأشياء التى أسعدتني وشغفت بها ، وهى نفس الوقت هى الأشياء التى حيرتني وأتعبتني .  
ذلك الجمال الفائق الذى يقسم به الطفلان ، وذلك الأدب والسلوك الزائد عن الحد . »

ضحكت وتوقفت ، ثم واصلت كلامي : « اعتقد أنهما لعبة ، خطة لخداعنا . »

نظرت مباشرة الى الطفلين وقالت : « هل تعنين انهما يخدعاننا ؟ »

— نعم ، رغم أنهما مجرد طفلين ، وذلك بالضبط ما أعنيه ، وأنا أعرف أن ذلك يبدو نوعا من الجنون .  
كان من السهل أن نتعاش معهم . لانهما ببساطة يعيشان حياتهما بطريقتهما . انهما لا يخصانني . . لا يخصاننا .  
هما يخصانه ويخصانها !!

— تفصدين كوينت وتلك المرأة ؟

— نعم . الطفلان يودان الذهاب اليهما .

فسألتني السيدة جروز : « لكن لماذا ؟ يودان الذهاب اليهما ؟ »

— لأنهما يحبان تلك الأفعال الشريرة التي علمها لهما  
كوينت وتلك المرأة في تلك الأيام المزعجة . ثم هاد الاثنان  
ليعلماهما المزيد ، ليواصلاهما الشيطانى !

نظرت الى ، ويبدو ان الذكريات اضاءت وجهها . لم  
تحتض على كلماتى وقالت : نعم ، لقد كانا زوجا من  
الشياطين فعلا ! لكن ماذا بإمكانهما ان يفعلا الآن ؟  
فكلامهما ميت !

— ان يفعلا ؟ !

قلت ذلك بصوت مرتفع حتى ان مايلز وفلورا التفتا  
اليئا . بعينها قلت بصوت اهدأ : « ألم يفعلا ماهيه الكفاية ؟  
ان بإمكانهما ان يحطمانهما !

وبدا من الواضح انها لم تفهم ذلك ، لأنها لم تقل  
شيئا . توقفت للحظة ثم واصلت كلامى : « فى تلك الأيام  
الماضية ، لم يكن كوينت والمرأة يعرفان الى أى مدى يمكن  
ان ينبجا ، لكنهما كانا يحاولان جهدهما . وفى الوقت  
الحالى يظهران للطفلين من على بعد ، فى الأماكن



المفتوحة ، خارج النافذة ، فوق قمة البرج ، على الجانب الآخر للبحيرة . وخطتهما أن يقريا المسافة ويتغلبا على كل الصعاب . والطفلان شغوفان بمساعدتهما ، وهكذا فإن نجاح هذين الشيطانين إنما هو مسألة وقت فقط .  
ولسوف يواصلان ذلك ليوحيا بأن الشر والخطر وشيك الوقوع .

- وهل تصنعين بأن الطفلين سيذهبان اليهما ؟

- نعم . وستكون تلك هى النهاية !

نهضت السيدة جروز ببطء ، فاضفت قائلة : إلا اذا استطعنا منعهما بالطبع !

وبدأت تقلب المسألة فى رأسها وهى واقفة أمامى ثم قالت :

- "يجب أن يمنعهما عنهما . ينبغي أن يأخذهما بعيدا عن هنا ."

سألتها : « ومن الذى سيجعله يفعل ذلك ؟ »

— أنت ، يا أنسة ؟

— كيف ؟ بأن اكتب له رسالة أقول فيها ان بيته مسمم  
باشياء شريرة وان ابن وبنت أخيه شريران أيضا ؟

— لكنك تقولين انهما كذلك ، يا أنسة !

— ستكون هذه اخبار مزعجة ، حتى تبعث بها الى  
شخص وضع ثقته في . وتذكرى اننى وعدته مخلصه بالآ  
أزعه .

قبرتُ السيدة جروز الموقف وقالت : « أجل ، أعرف  
انه يكره الازعاج . وذلك هو السبب فى . . . »

— فى ان كوينت والمرأة قد خدعاه لفترة طويلة ؟  
أجل ، كنت أشعر بذلك . لكننى لن أخدعه !

— هل فى امكانك ان تجعليه يحضر الى هنا ، من  
أجله ؟

— من أجلى ؟

وفجأة خشيت مما يمكن ان تفعله .

— نعم • ينبغي أن يحضر الى هنا • ينبغي أن يحضر  
لمساعدتك •

فهضت بسرعة وقلت : « كلا ! لن اطلب منه أن يحضر  
لزيارتنا • فلنستوفى ضحكك من افكارى ويسخر من ضعفى  
• وبالإضافة الى ذلك كله ، سوف يعتقد أننى تعبت من  
وجودى وحدى ، وأننى قد اخترعت هذه الأشياء حتى  
أجعله يحضر الى هنا ، •

فلا أحد كان يعلم — ولاحتى السيدة جريز • • كم  
كنت فذرة حتى أقوم بخدمته ، وكم كنت مصممة على  
الالتزام باتفاقنا • لذا فقد فكرت أنه من الضروري أن  
أحذرهما فقلت لها : « اذا كانت الحماقة قد وصلت بك الى  
الحد الذى تطلبين منى أن أجعله يحضر الى هنا من  
أجلى • • • »

فارتعبت حقيقة وتسألت : « نعم ، يا أنسة ؟ »  
— فلابد أن اغادر « بلاى » على الفور وبلا رجعة !!



## - ١٣ -

خلال الشهر التالي زادت احدى مشاكلى وأصبحت أكثر سوءا . فلم أجد أستطيع الكلام مع الطفلين بمثل تلك السهولة التى كانت تحدث من قبل .

فخلال مناقشاتنا أصبح هناك موضوع لانسقطيم الاقتراب منه يمثل جدار جيفنا ، وكان الطفلان على وعى تام بذلك بنفس القدر ، الذى أعيه أنا . وعندما كنا نقتررب من هذا الجدار أثناء كلامنا ، كنا نتوقف فجأة ، ويبتعد كل منا عن الآخر .

كان الموضوع الممنوع الكلام فيه هو كل ما يتعلق بحياة الطفلين قبل أن أحضر الى « بلاى » ، ومدرسة مايلز ، وبصفة عامة كل كلام يتعلق بالموت أو عودة الموتى

•• ولا أعتقد أننا استطعنا أن نتجنب هذه الموضوعات  
بنجاح كبير دون اعداد ترتيبات خفية بشكل كبير •

ورغم أنني لم أتعرف على أى شيء من حياة الطفلين  
الماضية ، فقد كانا شغوفين جدا لمعرفة كل تفاصيل حياتي  
الماضية ، وان اتحدث اليهما عن طفولتي وبيتي الذي كان  
خارج نطاق مشاكلي الحالية •• وقبل أن ينتهي الشهر  
كانا يعرفان كل شيء حدث لى ولأخوتي وأخواتى حتى  
ماحدث لقطتنا وكلبنا • تحدثنا عن عادات أبى المسلية ،  
وعن ترتيب الأثاث فى بيتنا ، وعن عبوز قريتنا وأحاديثها  
•• كان لدى الكثير لأقوله ، وكان الطفلان يشجعاننى على  
تذكر كل تفصيلة صغيرة من تفصيلات الماضى •

وبعد ذلك ، عندما كنت أفكر فيما كان يحدث فى هذه  
المناسبات ، كنت أحس بالشك فى نيتهما ، وأحصصت بأنهما  
كانا يراقبانى طوال الوقت فى سرية •

وهكذا مرت الأيام ، ولم أعد أرى أيا من كوينت أو  
الآنسة جيزيل • رغم وجود أماكن مظلمة عديدة فى

• بلاى ، كنت أتوقع ظهور كوينت فيها ، كذلك فقد كانت هناك مناسبات عديدة ملائمة لظهور الأنسة جيزيل مرة ثانية • وانتهى فصل الصيف ، وانعكس لون السماء الرمادى على المكان كله •

كانت الحديقة بممراتها الخالية ، والأوراق الجافة المتناثرة فى كل مكان ، بمثابة مسرح حال بعد انتهاء العرض • بمعنى أن الظروف كانت مهيأة تماما لعودة زوارنا ، وكان فى امكانى أن أعرف المكان وفى أى وقت من اليوم ، وأين يمكن أن نتقابل • لكننى لم أرى شيئا لا فى داخل البيت أو خارجه ، لم أكن أرغب فى رؤيته •

من الغريب فعلا قول ذلك ، لكننى كنت متزعجة الى حد ما من عدم ظهور كوينت والأنسة جيزيل مرة ثانية • وأرجعت فشلى فى عدم رؤيتهما ربما بسبب فقدانى لقدرتى على رؤيتهما • وعندما عبرت عن مخاوفى للسيدة جروز ، فيما يتصل بالآنسة جيزيل حيرها ذلك ، لكننى لم أفصح عنها • أما عن الحقيقة فكانت كالتالى : أنه لم يثبت بعد بالأكيد أن الطفلين استطاعا حقيقة رؤية كوينت أو الأنسة

جيزيل ، كما رأيتهما أنا ، وحتى اتأكد من ذلك ، فقد  
فضلت أن تكون لدى صورة كاملة عن الموضوع كله .  
فقد كنت أريد أن أرى وأن أعرف أسوأ ما يمكن رؤيته أو  
معرفة في « بلاى » .

أما عن الوقت الحالى فلم يظهر الى الآن شيء . يمكن  
رؤيته . وودت أن أشكر الله على كرمه ، لكن كانت تحول  
دون ذلك عقبة واحدة . فكم كنت أود أن أشكره من صميم  
قلبي لو تأكدت تماما من أن الطفلين لا يشاركانى هم ذلك  
السر .

كيف يمكننى أن أصف اليوم المزأجل التى تطور بها  
هذا الاحساس فى ذهنى ؟ . كانت هناك أوقات كنت على  
استعداد لأن أقسم بأن كوينت والآنسة جيزيل كانا معنا  
فى حجرة الدراسة . وفى أوقات أخرى لم يكن فى مقدورى  
أن أرى زائرينا ، بل أحس بوجودهما فقط . أحيانا كنت  
أود أن أصرخ : « انهما هنا ، انهما هنا ، لابد أن يعترفوا  
بذلك الآن ! » لكن صرخة غضب مثل هذه ، قد تسبب من  
الضرر أكثر مما هو خير ، وبالتالي لم أقل شيئا . كما  
أن الطفلين لا يعترفان بأى شيء كذلك .



لقد صدمت بشسدة عندما اكتشفت وجود ما يلز في  
الحديقة ، ينظر الى قمة البرج ، في الساعة الواحدة  
صباحا . والهمنى هذا الاكتشاف بفكرة جديدة ، وذات  
مرة أو مرتين كنت أن أواجه الصبي بالسؤال مباشرة .  
كنت أغلق باب حجرتى على نفسى لأفكر فى أفضل سبيل  
لطرق الموضوع . لكنى دائما كنت اتخلى عن التفكير فى  
المشكلة عندما أتيقن أنه يتحتم على ذكر الأسماء . كانت  
هذه مشكلة لطيفة للغاية ، فقد كان نقاشى مع نفسى  
ينتهى دائما بهذه الكلمات ، « أن الطفلين على قدر كبير  
من الأدب بما يسمح لهما بأن يظلا صامتين ، لكن أنت ،  
مربيتهما الموثوق فيها ، أسلوبك سيء فى الكلام ، .. وكان  
وجهى يحمر من الانفعال ، وسرعان ما أطرح نفسى فى  
الغرائب ،

بعد هذه المشاهد الخاصة ، أخذت اتحدث الى تلميذى  
بحرية على قدر ما أستطيع . وسارت حياتنا بشكل عادى  
حتى .. حتى شعرت ثانية بذلك الجمود الغريب ، ذلك  
الصمت . لكنه لم يكن صمتا ولا سكونا .. كان يتجسد  
فى الحقيقة على هيئة ضحكة عالية ، أو مناقشة حامية ،

أو عزف نغمة موسيقية بطريقة حادة . وعرفت بعد ذلك أن كوينت والأنسة جيزيل كانا موجودين لكن دون أن يراهما أحد . واضطربت خوفا من أن يجدا سبيلا لارسال بعض الرسائل المزعجة الى الطفلين دون علمي .

كان أسوأ ما أخشاه في الحقيقة ، أنهما قد يكونا رأيا أكثر مما رأيته أنا ، رأيا أشياء سيئة لم أستطع أنا حتى أن أتخيلها . ولاشك أننا كنا جميعا يتقاربنا شيء من الخوف أحيانا ، وكنا نبذل جهدنا في اخفاء ذلك .

وحتى نضع نهاية لهذه الأوقات العصيبة ، كان الطفلان يقبلانني ، وكان أحدهما أو الآخر يوجه الى السؤال الأثير . وكان ذلك السؤال هو الذي يساعدنا في التغلب على الكثير من هذه اللحظات المتجهمّة : « متى تعتقدان أنه سيحضر ؟ » « أنه هذا » ، كان بالطبع عمهما الذي يقطن في شارع هارلي ، وكنا نعيش على أمل أنه قد يحضر في أي لحظة . ولم يحدث أبدا أن قال أو كتب كلمة تدعّم هذا الاعتقاد ، بل أن ذلك لم يخطر على باله إطلاقا .

ولا اعتقد انه لكتب للطفلين ابدا . ربما تكون هذه  
انانية منه ، لكنها بالنسبة لى نوع من الثقة القامة فى .  
وفى مقابل ذلك فقد حملت مسئولية اتفاقنا كاملة ، ولم  
اكتب اليه . . وقلت لتلميذى ان خطاباتهما له ستكون مجرد  
تمرين مفيد فى قواعد اللغة الانجليزية . واضفتم ان  
خطاباتها كانت فى منتهى الجمال حتى تشوه بغاتم  
البريد . واحتفظت بها جميعا لنفسى ، ومازالت لدى حتى  
اليوم .

وعندما اعود بفكرى الى تلك الايام الغريبة ، تصيبنى  
الدهشة ، لاننى لم افقد صبرى مع الطفلين . فلقد احسست  
يقينا انهما يخدعانى ، ورغم ذلك مازلت احبهما !  
ولا استطيع القول كم سيستمر ذلك الشعور ، حتى لو لم  
اصل الى نوع من الراحة . وانا اطلق عليها راحة ، لكنها  
كانت ذلك النوع من الراحة التى تاتى طفرة واحدة عندما  
تضيق الأمور . . واخيرا حدث التغير وجاء بكل اندفاع  
وقوة !



## - ١٤ -

فى صباح يوم اجد كنت انا ومايلز فى طريقنا الى الكنيسة . وكانت السيدة جروز وقلودا الى جانبها تتقدمنا

كان يوما باردا لا صاحب فيه كان يوما من تلك الايام الاولى التى تنبئ بقدوم الشتاء .

كنت افكر فى مدى سعادتى بان التلميذين كانا مثلا للاطفال المطيعين . كنت الازمهما طوال اليوم ، وكل يوم فلماذا اذن لم يتبرما من ذلك ؟ ومايلز على وجه الخصوص ربما يفكر الانسان - قد يكره ان يكون مراقبا من قبل مربيه طوال الوقت . فقد كنت بمثابة حارس مكلف بحراستهما لمنع اى احداث مفاجئة او محاولة للهرب .

كان مايلز يرتدى افضل حلة ، صنعت خصيصا له

عند الحائك الخاص لجمه • وبدا معتزا بنفسه وكأنه  
شاب ناضج يعتمد على نفسه ، وعلى وعى تام بكافة  
حقوله وواجباته • لدرجة أنني أحسست لو أنه فجأة  
طالبني بحريته ، فلن يكون بإمكانى أن أقبول شيئا •  
والصدفة الغريبة كنت اتساءل فى هذه اللحظة فى كيفية  
مواجهة مثل هذا الموقف ! وتكلم مايلز ، وكنت أنا على  
استعداد لمواجهة الموقف وجها لوجه •

قال بطريقته الجذابة : « اسمعى ، يا عزيزتى ، متى ،  
أرجوك ، سأعود ثانية الى المدرسة ؟ »

والكلام الذى قاله وكما هو بدون هنا لا يبدو فيه  
أننى ضربه ، وقد قال مايلز الكلمات بطريقته اللطيفة ،  
وبصوته اللامبالى الذى كان دائما مايجيب به على أسئلتى  
توقفت فجأة ، كما لو أن شجرة من أشجار الحديقة قد  
سقطت عبر الطريق • وتحققت على الفور بأن هناك  
شيئا جديدا بيننا ، وعرف مايلز فى الحال أننى تحققت من  
ذلك • وعرف أيضا أنه قد كسب نقطة ضدى ، لأننى فى  
البداية لم أستطع التفكير فى شيء أقوله • • • وحقيقة كنت



متى سأعود الى المدرسة ؟

بطيئة جدا في الرد عليه حتى انه كانت لديه الفرصة  
ليواصل كلامه : « الا ترين ، انه من اللطيف جدا ، ان  
يكون الانسان بصحبة سيدة بشكل دائم ؟ »

وكان ينبغي على ان اكون حريصة فيما أقول . واذكر  
اننى حاولت ان اضحك لكى اكسب بعض الوقت ، لكننى  
اعتقد انها كانت ضحكة غريبة وقبيحة . ثم قلت : « ودائما  
مع نفس السيدة ؟ »

لم يظهر اى تغيير فى ملامح وجهه ، لكن السر لم يعد  
سرا بعد . قال : « آه ، وبالطبع فهى سيدة رائعة ، لكن  
على اى حال فأنا انسان . حسن ، ناضج ، »

فأسقط فى يدي وقلت : « أجل ، انت انسان ناضج ، »  
« ولم أستطع التفكير فى شيء آخر أقوله أو أفعله . »

ويبدو انه عرف انه قد أسقط فى يدي فقال : « وبالتالى  
لاستطيعين ان تقولى باننى لم اكن انسانا جيدا ، هل فى  
امكانك ؟ »

كان الوضع سيكون افضل لو اننا كنا واصلنا السير ،



لكننى لم أكن قادرة تماما على فعل ذلك : « كلا ، لا أستطيع  
أن أقول ذلك ، ياهايلز » .

– فيما عدا تلك الليلة بالذات !

– أوه ؟ أى ليلة تلك ؟

– « عندما نزلت الى أسفل – وخرجت من البيت » .

– « أوه ، نعم . لكننى نسيت ، لماذا فعلت ذلك » .

– « نسيت ؟ » ..

وكان فى صوته رنة لوم خفيفة . واكمل :

« حسن ، لقد فعلت ذلك لجرد أن أريك أننى أستطيع

فعل ذلك » !

– أجل ، هذا صحيح – انت تستطيع .

– وأستطيع أن افعله مرة ثانية .

– بالتأكيد تستطيع . لكنك لاترغب .

– كلا . انا لا أرغب فى فعل ذلك ثانية !

بدأنا نواصل السير ، فأكمل كلامه : « اذن متى سأعود

الى المدرسة » .

سألته : « هل كنت سعيدا جدا فى المدرسة ، »

فكر للحظة : أوه ، انا اكون سعيدا بما فيه الكفاية  
فى أى مكان !

فاجبته : حسن اذن ، مادمت تشعر بالسعادة هنا .

- « اه ، لكن ليس هذا هو الشيء الاساسى ، انت  
بالطبع فى استطاعتك ان تعلمينسى كثيرا ، لكن ... »  
وتوقف :

- حسن ، ماهو الشيء الاساسى ؟

- هو اننى ، اريد ان اتعرف على مزيد من الحياة .

- فهمت ، فهمت !

كنا قد اسبحنا فى تلك اللحظة امام الكنيسة . وكان  
هناك العديد من الناس ، ومن بينهم بعض خدم « بلاى » ،  
يقفون عند الباب ، ينتظروننا لندخل . بدأت اسرع فى  
المشى ، لقد كنت اريد ان ادخل الى الكنيسة قبل ان يستطيع  
قول أى شيء آخر . ففى الكنيسة سوف يلتزم الصمت

لمدة ساعة أو تزيد وفكرت بسعادة فى تلك الأضواء الخافتة  
بالداخل وتلك الراحة ونحن على مقاعدنا • كنت كمن يجرى  
فى سباق بنوع من الضيق • وقبل أن ندخل الى فناء  
الكنيسة قال فجأة : أريد أن أكون مع الناس مثلما أكون  
مع نفسى !

قفزت خطوة الى الامام وقلت : « ليس هناك الكثير من  
أمثالك ، يامايلىز ! » ثم ضحكت وأضفقت : « هناك فلورا  
بالطبع !

— اتقارنين بينى وبين بنت صغيرة ؟

شعرت بالضعف : « لكنك تحب فلورا ، اليس كذلك ؟ »

فقال : « وأنت أيضا • لكن لو لم • • • لو لم • • •  
وأخذ يردد • وتصورت أنه سوف يخبرنى • لكنه لم  
يكمل تصورى • كانت السيدة جـروز وفلورا قد دخلتا  
الكنيسة • وتبعهما الآخرون • ووجدت نفسى أنا ومايلىز  
وحدنا بين القبور القديمة ضغط على ذراعى • وتوقفنا •

— أجل ، إذا لم • •

تطلع حواليه في المقابر : « حسن ، أنت تعرفين ، وبعد  
مضى لحظة قال شيئاً جعلني أجلس لاستريح فوق أقرب  
مقبرة : « هل يفكر عني فيما تفكرين فيه ؟ »

- وكيف يتسنى لك أن تعرف ما أفكر فيه ؟

- أه ، بالطبع ، أنا لا أعرف ، فانت لم تخبريني  
قط . لكن ما اقصده هل هو يعرف ؟

- يعرف ماذا ، يا مايلز ؟

- انتى لم أعد الى المدرسة منذ الاجازة .

- أنا لا أعتقد أن عمك يهتم بذلك كثيراً .

- اذن . ألا تعتقدين أننا يمكن أن نجعله يهتم ؟

- كيف يمكننا فعل ذلك ؟

- بأن نجعله يحضر الى هنا !

- ومن الذى سيجعله يحضر الى هنا .

- أنا !!

قال الصبنى ذلك بكل تصميم ومشى مبتعداً عني ودخل  
الكنيسة . . .

لم يكن باستطاعتي أبدا أن أتبعه . فجلست هناك فوق  
القبر أحاول فهم معنى ما قاله لى . . . تحيرت فى تفسيره  
لمدة طويلة حتى انتهى لم أستطع أن أذهب الى الكنيسة  
على الاطلاق ، لكن بمرور الوقت وضع فى ذهني كل شيء  
وكذلك البرارات التي يمكن اقدمها . فمن الممكن أن أقول  
اننى لم أدخل الى الكنيسة بسبب تأخرى جدا . ولا يصح  
للمربية أن تكون قدوة لتلاميذها فى التأخير .

كان من الواضح بالنسبة لى ، أن هايلز قد كسب  
نقطة أخرى ضدى . فقد يفسر عدم ذهابى الى الكنيسة  
لحالة الضيق التي انتابتني بعد نقاشنا ، وهذا يرجح  
كفته . ربما يظن اننى خائفة من شيء ما ، ومن المحتمل  
أن يستفيد من خوفى لكسب المزيد من الحرية لنفسه .

كان خوفي أنني قد أتعامل معه على أساس أنه  
مفصول من المدرسة . وكان ذلك شيئاً مزعجاً بالنسبة لى  
لأننى كنت متأكدة أن كوينت له صلة بذلك الموضوع . ولو  
أن السيد حضر الى « بلاى » لمناقشة هذا الموضوع معى ،  
فربما أرحب بمساعدته فى هذا الشأن . لكنى كرهت  
التفكير فى ذلك ، وأردت فقط أن أوجل السؤال . وأنه  
لمن سوء حظى أن يكون مايلز على صواب ، لأنه لم يعامل  
بالطريقة المناسبة . وكان له كل الحق ليقول لى : أن  
دراستى بالمدرسة قد اضطربت . فاما أن تكشفى عن هذا  
اللفز لولى أمرى . واما أن تعاملينى كما يجب أن يعامل  
المصيبى . . . . . وعندما تحققت من ذلك ، فأنفسى تأكدت  
كذلك بالاضافة الى أنني صدمت ، من أن مايلز قد رقب  
خطه .

كان هذا التحقق هو الذى منعنى من الذهاب الى  
الكنيسة . سرت ببطء حول مبنى الكنيسة ، متوردة  
متعيرة . كان يعرف أننى فى ورطة وأننى لا أستطيع  
مساعدة نفسى . لقد كانت بيننا فجوة ، فالأمور أصبحت  
مختلفة تماماً عن ذى قبل . وكانت مسألة اللهاق به

وجلس الى جواره على كرسى العائلة فى الكنيسة بمثابة عبء ثقيل على نفسى . ولأول مرة منذ أن عاد الى البيت من المدرسة ، كنت أريد أن أبتعد عنه .

توقفت بالخارج عند النافذة الشرقية وأخذت أصغى الى الصلوات . وواتنسى فكرة : « لماذا لا أهرب ؟ » فهذه فرصة رائعة . . . لن يكون هناك أحد ليستوقفنى . يمكننى أن أحزم أمتعتى . . . وأعود إدراجى وأهرب . كل ما على أن أسرع عائدة الى البيت وألتقط أشياء القليلة . فكل الخدم تقريبا موجودين بالكنيسة ، ولن يرانى أى أحد كذلك لن يلومنى أحد اذا ما تركت المكان . ليست هناك فائدة ترجى من غيابى لعدة ساعات ؟ ينبغى على الرحيل الى الأبد ، والا فلا داعى لذلك إطلاقا . لو اننى قابلت الطفلين مرة ثانية على مائدة العشاء بعد عدة ساعات قليلة ، فسوف يتظاهران بأنهما صدمتا ، واستطيع تصور ماسيقولانه . « ما ذلك الذى فعلته ، أيتها السيدة السيئة ؟ » لماذا تسببت لنا فى كل هذا القلق ؟ . . . ولن استطيع الاجابة على مثل هذا السؤال ، ولا استطيع أن أنظر الى وجهيهما

الجميلين عندما يسألان هذه الأسئلة • هذا بالضبط مايتحتم على أن أفعله لو أنني بقيت في البيت •

غادرت فناء الكنيسة على الفور ، وعدت مسرعة خلال الحديقة الى « بللى » • وفي الطريق أخذت اتدبر الموضوع مرة ثانية ، وفي الوقت الذي وصلت فيه الى البيت كنت قد قررت أن أغادره • كانت فرصة عظيمة بالنسبة لى أن أفعل ذلك • كان البيت هادئا جدا ولم أقابل أى أحد • لو أنني غادرت المكان على هذا النحو ، فلن تكون هناك أى مشاكل ، ولا كلمات غاضبة ، ولا وداع حزين • لا بد أن أسرع بالطبع ، وأن أحصل على عربة تنقلنى الى المحطة •

وفي الصالة باغتتنى صعوبة الحصول على عربة ، فجلست على إحدى درجات بداية السلم • وشعرت بالاجهاد والوهن • لكن ذكرى شهر مضى جعلتنى أجلس معتدلة •

لقد كانت هنا ، على نفس درجة السلم في الظلام ، هنا حيث رأيت تلك المرأة المرعبة ، التى بدت في تلك اللحظة



وكانها مثقلة بالشر كما كنت أنا مثقلة بمشاكلى الآن .  
وقفت وصعدت باقى درجات السلم ..

اتجهت ناحية حجرة الدراسة حيث كان لى بعض  
الأشياء فيها أردت أن أخذها معى . فتحت الباب ،  
واكتشفت فى ومضة اننى لم أفقد قوتي لرؤية الأرواح  
الشريرة . واشتعلت مقاومتى مرة ثانية وكانها لهيب  
بداخلى .

فى وضوح النهار كانت هناك امرأة جالسة على  
منضبتى ! .. ولو لم أكن رأيت الأنسة جيزيل من قبل ،  
لقلت انها احدى المخدمات تستريح بعد تنظيف الحجرة .  
كانت يداها تدعمان راسها ، والاجهاد يبدو واضحا عليها  
جدا . وعندما دخلت الحجرة ، لم تتحرك ، لكن بعد مضي  
لحظة غيرت وضعها بهدوء ، ثم بدت لى تعاما مثلما رأيتها  
فى المرتين السابقتين .

نهضت .. لكن ليس لأنها سمعت خطواتى .. لكنها  
نهضت كما لو أن حزنها كان هو الشيء الوحيد الذى تعرفه

كانت المربية السابقة تقف على بعد اثني عشر قدما هنى ،  
صورة من الخديعة • نظرت اليها عن قرب فرأيت شبحا  
يتشبع بالسواد ، شبحا أسود كسواد الليل • كان تعبيرها  
مزيجا من جمال حزين ويأس كامل • عندما تطلعت الى  
بدا فى عينيها كأنهما تقولان ان حقها فى الجلوس على  
منضدتي يساوى تماما حقى فى الجلوس  
عليها • وعندما مرت هذه اللحظات انتابنى احساس غريب  
بان حقها كان اكبر من حقى بكثير • قاومت ذلك الاحساس  
بقوة حتى اننى لم استطع مقاومة صراخى : « انت ايتها  
المرأة المرعبة ، ايتها المرأة البائسة ! » وسمعت كلماتى  
تتردد عبر الردهة وعبر البيت الخالى ..

نظرت الى كما لو انها قد سمعتنى • ثم اخذ شبحها  
يتلاشى بسرعة ويختفى • وفى اللحظة التالية لم يكن  
هناك شئ سوى اشعة الشمس ، واهساسى بأنه يجب  
على ان ابقى فى « بلاى » ..

## - ١٦ -

عندما عاد الآخرون من الكنيسة توقعت تماما أن أجيب على عدة أسئلة • لكن ما حيرنى ، وادعشتنى أن أجدهم قد التزموا صمتا حذرا • وبدلا من القانيب المرح لأننى لم الحق بهم فى الكنيسة ، لم يقولوا شيئا على الإطلاق بخصوص ذلك • وكذلك السيدة جروز ، كانت صامتا أيضا ، وخمنت من خلال تعبير وجهها أن الطفلين ربما قدما لها رشوة لكى تصمت •

لكن قبل أن نتناول شئ ما بعد الظهر فى ذلك اليوم ، وجدت فرصة لأتكلّم معها • كانت تجلس امام المفرن فى حجرة المطبخ • كان المكان قد نظف ومصح لثوره وتقوح فيه رائحة خبر طازج • استعدت هذا المشهد وأنا اكتب هذه الكلمات • •

فمازلت اذكر السيدة جروز وهى تنظر الى الفرن  
جالسة على مقعدها ذى الظهر المستقيم . وقالت :

- اوه ، اجل ، لقد طلبا منى الا اقول شيئا ، وحتى  
اسعدهما عندما كانا معى - فلقد وعدت بذلك بطبيعة الحال  
لكن ما الذى حدث لك ؟ »

قلت : « لقد ذهبت معكم فقط للتمشى . فقد كان يتعين  
على ان اعود ثانية الى البيت لمقابلة صديق . »

افدهشت : « صديق ؟ لا اعرف ان لك ... »

- اوه ، نعم ، لدى اصدقاء قليلون .. لكن هل اعطاك  
الاطفال مبررا لعدم قول اى شىء ؟

- نعم ، قالوا ان ذلك افضل بالنسبة لك .. هل تفضلين  
ذلك ؟ !

الا ان ملامح وجهى جعلتها تشك فى ذلك فقلت : « كلا  
انا افضل ما هو اسوأ ، ! لكننى اضفت بعد لحظة : « هل قالوا  
لك عن السبب الذى يجعلنى افضل ذلك ؟ »

— كلا ، لكن سيدى مايلز قال ؟ لا ينبغي أن تفعل شيئاً  
سوى الذى تفضله ! •

— حقيقة ، أتمنى أن يكون صادقا ! وماذا قالت  
فلورا ؟

— كانت فلورا فى منتهى اللطف عندما قالت : « اوه  
بالطبع ، بالطبع » • وقلت أنا نفس الشيء !

فكرت للحظة : « وانت كذلك فى منتهى الظرف — لكن  
لا يوجد أسرار بينى وبين مايلز الآن !

— « أسرار ؟ » •

ونظرت الى متحيرة •

— لا بهم • فلقد قررت أن أعود الى البيت كان لدى  
حديث مع الأنسة جيزيل !!

وفى اللحظة التى سمعت فيها السيدة جروز هذه  
الجملة ، اتسعت عيناها ، لكنها قالت فى هدوء تام :

— حديث ؟ هل تقصدين انها تحدثت اليك ؟

- لقد تحدثت الى بوضوح تام بعينيها • عندما  
عدت الى البيت كانت تجلس على منضدتي بحجرة  
الدراسة !

- ما الذى تعتقدين أنها كانت تريد أن تقوله ؟

- انها تعاني من عقاب فظيع !

- أتقصدين ذلك العقاب ...

ولم تستطع المرأة المسكينة أن تكمل سؤالها •

- ... ذلك العقاب الذى وعد به الله الأشرار ! ..

ولهذا السبب فهى تريد أن ...

وترددت فى هذه اللحظة ولم أستطع مواصلة كلامى ،

لكن رفيقتى بقصور خيالها شجعتنى على مواصلة الكلام •

- أجل ، هى تريد ...

- هى تريد فلورا .. لكى تشاركها هذا العقاب ! •

لكن وكما قلت لك ، هذا لا يهم • فلقد اتخذت قرارى !

سألتنى : « ما الذى قررته ؟ »

- قررت أن أرسل الى عمهما •

**فصاحت قائلة : أوه يا أنسة ، افعلى ذلك ، افعلى !**

— سافعل .. سافعل ! فهذا هو السبيل الوحيد الآن ..  
مايلز يعتقد اننى أخشى فعل ذلك ، ويأمل أن يحصل على  
كسب جديد من خلال ذلك . لسوف يكتشف كم هو مخطيء  
أجل ، أجل ، سوف أخبر عمه .. وفى حضور الصبي اذا  
لزم الأمر . انها ليست غلطى أن مايلز لم يعد الى  
المدرسة عندما ...

**فهمست لى : « نعم ، يا أنسة » .**

— ... وهناك مبرر فظيع !

**وأصبح هناك العديد من « المبررات » الواضحة للسيدة  
جروز .**

— لكن .. أى .. مبرر ؟ !

— ماذا ، ذلك الخطاب من ناظر المدرسة !

— وهل ستطلعين عمه عليه ؟

— كان ينبغي أن افعل ذلك عندما تسلمته .

**فقالت السيدة جروز بحسم : « كلا ، كلا » .**

فواصلت كلامي : « ينبغي أن أشرح له ، بأننى لن  
أستطيع تحمل مسئولية البحث عن مدرسة أخرى لطفل  
سبق أن طرد ... »

فقالت بصوت عال : « لكن لماذا طرد ؟ »

— لسوء سلوكه .. ماذا غير ذلك ؟ .. فهو مجتهد وفي  
منتهى الجمال ؟ هل هو غبي ؟ هل هو غير منظم ؟ هل  
هو مدلل ؟ هل هو سوء المزاج ؟ كلا .. ليس فيه أى شيء  
من ذلك .. انن فلابد أن يكون السبب فى ذلك سوء  
سلوكه ، وفى الحقيقة فهذه غلطة عمها ، لأنه ترك اناسا  
يعيشون هنا ، من اغثال كوينت و ... »

فشحب لونها وقالت : « اوه ، لم يكن يعرفهما فى  
الحقيقة - الغلطة غلطتى .. »

فاجبتها : « حسن ، لن تعانى من ذلك .. »

فقالت بحسم : « ولن يعانى الأطفال من ذلك .. »

وحدث صمت للحظة ، وتطلعت كل منا للأخرى :  
« انن ، ما الذى ساقوله له ؟ »



ـ « لن تكونى فى حاجة لأن تقولى له أى شيء .  
سوف أخبره أنا . »

ـ تقصين أنك ستكتبين له ؟

ثم تذكرت أنها لا تستطيع القراءة وبالتأكيد لا يمكنها  
الكتابة . فاستدركت بسرعة : « وكيف ستخبرينه ؟ »

ـ سأقول لناظر الضيعة . وهو يكتب اليه .

ـ « وهل يرضيك أن يكتب هو حكايتنا ؟ »

وأبدت أسفى لهذا السؤال لأننى لم أكن أود أن  
أجرحها . واندفعت الدموع الى عاقيها : « أوه ، يا أنسة .  
اكتبى أنت اليه ! »

ـ « لا بأس .. الليلة »

قلت ذلك ثم تركتها ...



## - ١٧ -

شرعت ذلك المساء وأنا فى حجرتى فى البدء بالكتابة فتناولت ورقة وجلست اكتب ، لكننى أخذت أتطلع الى الورقة طويلا . . . تغير الجو ثانية . وهبت ريح قوية وأخذت تمطر بشدة . كانت فلورا ترقد نائمة الى جوارى وبدأت فى منتهى الوداعة فى سريرها الصغير ، وتساءلت عما اذا كان مايلز نائما هو أيضا ؟

نهضت وتناولت المصباح . خرجت من الغرفة . عبرت الردهة وانصت للحظة عند باب غرفة نومه . كنت اتسمع لآى صوت يدلنى على أنه كان متيقظا . وفى اللحظة التالية سمعت صوتا ، لكنه لم يكن الصوت الذى كنت اتوقعه . سمعت صوته ينادى : « مساي ، أنست يامن بالخارج . . . ادخل ا ، » .

دخلت والمصباح في يدي فوجدته في السرير . كان  
يقظا تماما ومبتهجا جدا . سألني : « ما الذي تتجولين من  
أجله ؟ » .

وقفت بالقرب من رأسه والمصباح في يدي : « كيف  
عرفت أنني بالخارج ؟ »

— آوه ، سمعتك بالطبع . هل تظنين أنك تسيرين في  
هدوء ؟ .. أنت مثل مجموعة من الفرسان !  
وضحك ..

— كنت أظن أنك نائم .

قال وهو يمد يده الي : « كلا ، كنت مستلقيا فقط ،  
أفكر . »

وضعت المصباح بجواره على المنضدة ثم جلست على  
حافة السرير وقلت : « في أي شيء كنت تفكر ؟ »

— أفكر فيك بالطبع .

— آه ، لطيف أن أعرف أنني أشغل فكرك . لكنني  
أفضل أن تقام بالليل .

– وأنا أفكر كذلك في تلك الأمور الغريبة لكلينا .

ولاحظت برودة في يده القوية : « أية أمور غريبة ،  
ياهايلز ؟ » .

– أوه الأسلوب الذي تتبعينه في تربيته . وكل  
مايتبع ذلك !

التقطت أنفاسي لبرهة . واتضح لى من خلال ضسوء  
المصباح أنه يبتسم .

وسألت : ماذا تقصد وبكل مايتبع ذلك ، ؟

– أوه ، أنت تعرفين . . . أنت تعرفين !

لم أستطع قول أى شيء لفترة . كان كل منا ينظر الى  
الآخر ، وكنت ما أزال أمسك بيده . لم قلت : « بالتأكيد  
سوف تعود الى المدرسة ، اذا كان ذلك كل ماتريده . . . لكن  
ليس مدرستك القديمة ، يجب علينا أن نبحث عن مدرسة  
أخرى ، مدرسة أفضل . . . كيف كان يتسنى لى أن أعرف  
أن هذا هو السؤال الذى يقلقك ؟ فانت لم تقل لى أبدا .  
انت لم تتحدث عن ذلك الموضوع مطلقا ! »

كان يصفى الى باهتمام • وبدا بوجهه الجميل  
الابيض الرقيق وكأنه طفل يرقد فى سرير بمستشفى •  
وعندما خطرت هذه الفكرة برأسى ، تمنيت أن أكون  
الطبيب أو الممرضة الذى بيديه القدرة على شفاؤه • وعلى  
أى الأحوال ، من المحتمل أننى أستطيع المساعدة ! • هل  
تعلم أنك لم تقل لى أبدا كلمة واحدة عن مدرستك •  
أقصد مدرستك القديمة • لم تذكر لى أى شىء عنها على  
الاطلاق ! •

لم يجب على الفور لكنه بدا متحيرا • تصورت أنه  
كان يحاول أن يكسب وقتا • وانتظر كما لو أنه يتوقع منى  
المساعدة •

ثم قال أخيرا : « ألم أقل لك أى شىء ؟ »

وكان هناك شىء ما فى صوته ، وفى تعبير وجهه  
عندما قال ذلك • جعلنى أحس بالألم فى قلبى • وتأكدت  
عند ذلك أن قوة التأثير المرعب كانت مسيطرة عليه •  
كان يحاول التظاهر بأن كل شىء على مايرام ، وأنه ليس  
هناك شىء غريب أو غير عادى يحدث له • لكن قدراته

الذهنية كطلل وقوة احتماله ، لم تفلح فى أن تحجب هذا  
الادعاء •

— كلا ، أنت لم تقل لى أى شىء منذ اليوم الذى  
جئت فيه الى البيت •• لم تذكر لى أى شىء عن مدرسيك  
أو عن أصدقائك فى المدرسة •• لم تقل لى أبدا عن أى  
شىء حدث لك فى المدرسة • لذلك فانت ترى اننى أعرف  
عنك القليل جدا أو عما يدور فى ذهنك واستطيع بكل  
صدق أن أقول — حتى تكلمت معى هذا الصباح — باننى  
لم أسمع أبدا كلمة عن حياتك ••

وأحسست بكل تأكيد ان التأثير الخارجى ، الذى يرتبط  
بكويذت ربما كان يسمم حياته • وسهل هذا الاحساس  
المسألة بالنسبة لى ، فأخذت أعامله على أنه شخص كبير ،  
أو على قدم المساواة •• وبناء على ذلك فقد قلت له :

« كفت أعتقد أنك تريد أن تمضى فى حياتك بالمنحور  
الذى أنت عليه » •

عندما قلت ذلك تغير لون وجهه قليلا • وعلى أى

الأحوال فقد هز رأسه ببطء وقال : « أنا لا أريد .. لا أريد  
أنا أود أن أهرب بعيدا ! »

– هل تعبت من وجودك في « بلاى » ، .. ؟

– أوه ، كلا ، أنا أحب « بلاى » ، .. !

– طيب ، إذن ماذا ... ؟

– أوه ، أنت تعرفين مايريده صبرى فى مثل سننى !

واحمست اننى لا أعرف بالضبط مثلما يعرف هو .  
وكانت فرصتى لأكسب بعض الوقت الآن فسألقه : « هل  
تريد أن تذهب لعمك ؟ » .. فهز رأسه مرة ثانية وقال :  
« آه ، هذا يجعل الأمور سهلة بالنسبة لك . اليس كذلك ؟ »

وكننت أنا التى تغير لونها هذه المرة على ما اعتقد .  
وظللت صامئة للحظة . ثم قلت : « لكنى لا أريد للأمور أن  
تكون سهلة » .

– إن تكون سهلة حتى لو رغبت . لابد أن يحضر عمى  
الى هنا ولابد أن تطلعيه على كل شيء بالضبط !



فأجبت بشيء من القوة : « لو فعلنا ذلك ، فمسيوف  
يتحتم عليك أن تغادر « بلاى » بالتأكيد »

— حسن ، ألم تفهمى أن ذلك بالضبط هو ما أريده ؟  
فعليك أن تقولى له أن تعليمى قد أهدم . لا بد أن تقولى  
له ذلك بشكل مبالغ فيه !

تكلم بجسارة ، وكنت أرد عليه بنفس الطريقة :  
« وما قدر الذى ستقوله له ، يامايلى ؟ هناك أشياء سوف  
يسألك عنها ! » .

فكر فى ذلك ثم قال : « محتمل جدا . لكن أى أشياء ؟ »  
— سوف يسألك عن كل الأشياء التى لم تقلها لى  
أبدا . فلا بد أن يقرر ماذا سيفعله بالنسبة لك . حيث  
لاستطيع أن يعيدك ...

فقاطعتنى : « لا أريد العودة ! أريد مجالا جديدا ! » .

قال ذلك بابتهاج ، بل بمرح . لكننى تخيلت خيبة  
الأمل الكبرى لا حتمال عودته الى « بلاى » ، فى نهاية  
الثلاثة شهور . وكنت على يقين أنه سيعود من مدرسته

الجديدة بنفس الادعاء ، والكلام المنق - مع مزيد من عدم  
الأمانة . عرفت في تلك اللحظة ، أنه لن يكون في مقدوري  
أبداً تحمل ذلك ، وجعلني ذلك أفقد السيطرة على مشاعري  
فأحطته بذراعي وقلت : « يا عزيزي مايلز . . . »

كان وجهي قريباً لوجهه فتركني أقبله . وقال : « حسن  
ياسيدي العزيزة ؟ ! » .

- ألا يوجد شيء . . . أي شيء على الإطلاق تريد أن  
تقوله لي ؟

استدار ناحية الحائط ورفع يده وتفحصها « لقد قلت  
لك - لقد قلت لك هذا الصباح » .

وشعرت بالأسى الشديد له : « انت لا تريد مني أن  
أهتم بك . هل هذا كل شيء ؟ » .

استدار وتطلع الي ، كما لو أنه كان سعيداً بأنني قد  
فهمته ، رغم دهشته الي حد ما . ثم قال بركة : « هذا كل  
شيء . . أرجو أن تتركيني وحدي » .

فأرحتة ونهضت ببطة . ويعلم الله أنني لم أكن أريد  
ازعاجه . لكن مشاعري لم تطاوعنى فى تلك اللحظة بالآ  
أهتم به لأنه طلب منى ذلك . كانت تلك هى الحال التى  
أنا عليها عندما أدت ظهري عنه ، تاركة إياه ، فاقدة  
إياه . قلت له :

ـ « لقد شرعت فى كتابه خطاب لعمك الآن » .

ـ حسن ، اكتبه اذن !

انتظرت دقيقة : « ماذا حدث قبل ذهابك الى المدرسة ؟  
.. وماذا حدث اثناء وجودك هناك ؟ »

كان مايزال ينظر الى لكنه لم يجب على الفور . ثم ،  
وكانه لم يفهم ، أخذ يردد : « ماذا حدث ؟ ! »

ولأول مرة لاحظت اختلافا واضحا فى صوته .  
فأحسست بشكل مرهف أن لديه رغبة فى الكلام . وجعلنى  
ذلك أركع على ركبتي بجوار سريريه وانتهز فرصة سنحت  
لمساعدته : « مايلز ، مايلز ، أه لو تصرف كم أود أن

أساعدك هذا كل ما أريد أن أفعله . أنا لا أريد أن أسبب لك ألما أو ضررا . أنا أريد فقط أن أساعدك ، أن أنقذك ! » .

بعد لحظة قصيرة تبين لى أنفسى تحدثت كثيرا . وتلقيت اجابة فى الحال - لكنها لم تصدر عن مايلز . انما جاءت من خلال هبة ربيع ثلجية باردة شرسة . . . . اهتزت المفرقة ، كما لو أن النافذة قد انفتحت بعنف . وندت عن الصبي صرخة عالية ربما تكون صرخة فرح أو خوف فظيع . قفزت نامضة . . وكانت الحجرة مظلمة تماما . وبقي كل شئ فى الحجرة للحظات على ذلك النحو ، وتعودت عيناي على الظلمة . فلاحظت أن النافذة كانت مغلقة بإحكام والستائر مسدلة عليها .

قصحت : « لماذا ، انظرا المصباح ؟ ! »

فقال مايلز : « أنا الذى اطفأته ! »

## - ١٨ -

فى اليوم القالى بعد انتهاء الدروس . قالت لى السيدة  
جروز فى هدوء : « هل كتبت الرسالة ، ياآنسة ؟ »  
- نعم . . كتبتها !

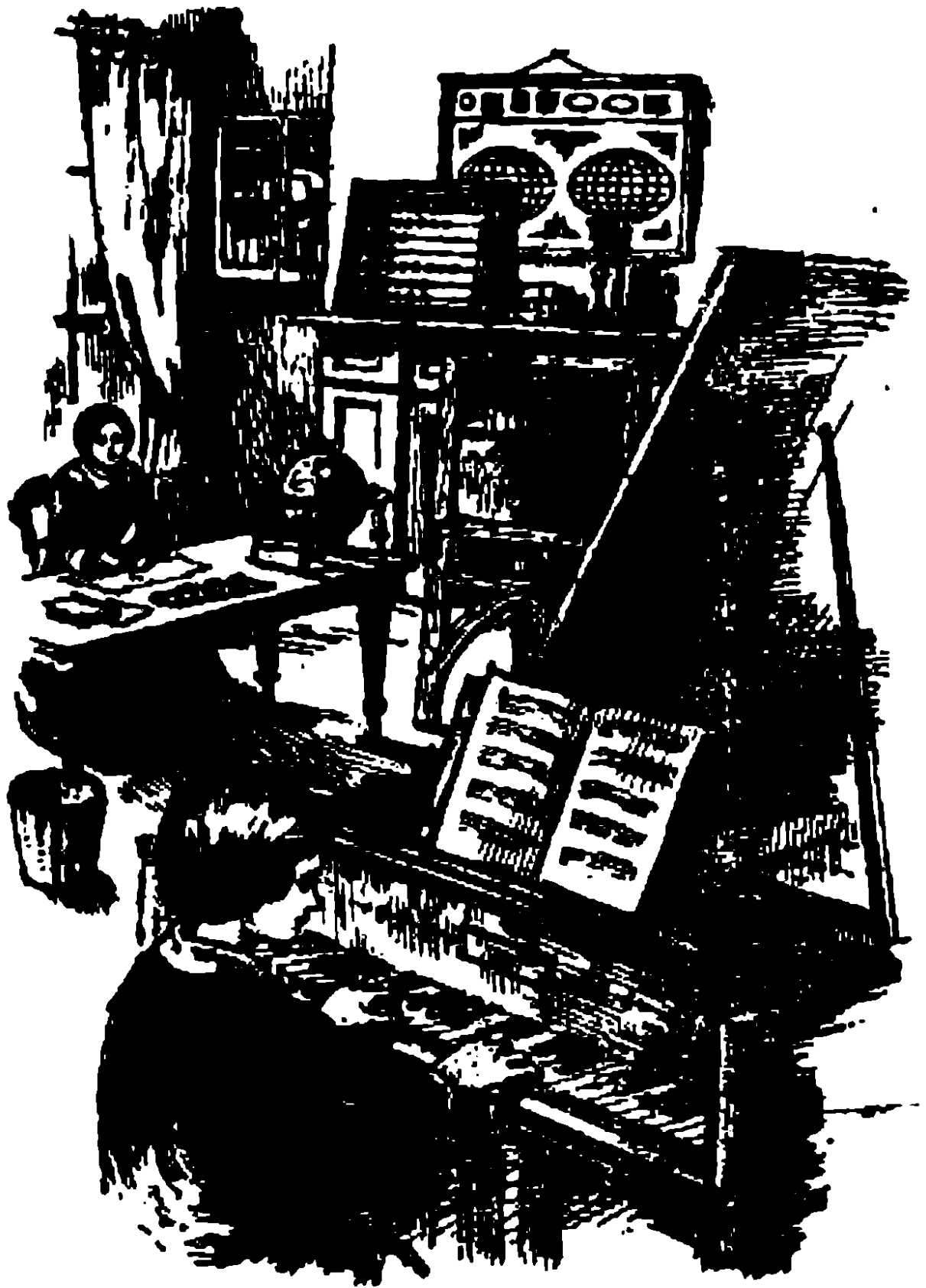
لكنى لم أقل لها فى ذلك الوقت أن الخطاب معنون  
وجاهز لإرساله للبريد ، وأنه مازال فى جيبى . فقد كان  
هناك متسع من الوقت قيل أن يأخذه المرسال الى القرية .

كان تلميذائى قد أديا واجباتهما بكل امتياز هذا  
الصباح . ويبدو كما لو أنهما قد قررا أداء واجبيهما  
بشكل أفضل من المعتاد لاسعادي . . وذلك على احتمال  
أننى قد أكون مازلت متضايقة من أحداث أمس . وكان  
مايلز بصفة خاصة مغرما بأن يرينى كيف أن الواجب كان

سهلا بالنسبة له ليصفح عن ضعفى • كان هذا الطفل على ما أنكر ، يعيش حقيقة فى تضاد بين نوع من الجمال والبؤس ، لا تستطيع الكلمات أن تصفه • كان متفوقا فى كل شيء يفعله ، رغم أن أى شخص غريب قد يعتقد أنه مجرد صبي صغير ساذج •

ولقد عرفته جيدا الآن ، ودائما ماكنت اتساءل عما فعله ليستحق الطرد من المدرسة • كان من الممكن أن أصدق ذلك ، أبان علاقته مع كوينت ، فقد تعلم كيف يستطيع تخيل الشر • لكننى رفضت أن أصدق ، دون برهان ، أنه قد قام بارتكاب أى فعل شرير ••

بعد الغداء فى ذلك اليوم المزعج بدأ يتصرف بشكل مهذب تماما •• جاء الى وسألنى ان كنت أود منه أن يعزف على البيانو مدة نصف ساعة •• كان ذلك مثالا لسلوكه الجيد ، وذوقه الرفيع ، ونبله • وكان طلبه هذا يعنى نفس المعنى لو كان قد قاله لى : « ان الانسان المهذب لا يحاول أبدا استغلال ميزة ما ليحصل منها على المزيد • أنا أعرف ما تقصدينه الآن ، أنت تعنين اننى اذا لم اسبب



• وعزف كما لم يعزف من قبل •

لك مشكلة مع عمى ، فسوف تتوفقين عن الاهتمام بى ومراقبتى . ولن تجعلينى قريبا منك . سوف تدعينى أغدو وأروح كما أشاء . وعلى سبيل المثال ، ها أنا أقبل عليك الآن ! حقيقة أنا أستمتع بوجودى معك . لكن فى نفس الوقت يجب أن يكون لى الحق فى التصرف بطريقتى الخاصة .

ولك ان تتخيل أى الأمرين أفضل ، ان اناقش ذلك معه ،  
 ام اعود ادراجى ببساطة الى حجرة الدراسة . . . . .  
 البيانو القديم وعزف كما لم يعزف من قبل أبدا . . . . .  
 كان هناك أحد يعتقد انه ماهر فى تسديد الكرة نحو  
 الهدف ، فانا اتفق معه تماما . . . . .  
 الذى ضيعته فى الانصات الى مايلز . . . . .  
 على البيانو . . . . .  
 كنت لا اعى شيئا سوى الموسيقى وتأثيرها على . . . . .

وبدا الزمن وكأنه توقف . وعندما عادت الى هواس  
العادية ، شعرت اننى قد نمت على مكتبى . وبالطبع انا  
لم انا حقيقة ، لكننى فعلت ما هو اكثر سوءا - لقد نصبت ،



أين فلورا ؟ وعندما سألت مايلز واصل عزفه لمدة دقيقة .  
ثم قال : « لماذا ، كيف يتسنى لى أن أعرف ؟ » ثم ضحك  
لهجاة .

ذهبت مباشرة الى حجرتى ، لكن أخته لم تكن هناك ،  
وقبل أن انزل الى الدور الأرضى ، فتشفت فى الغرف  
الأخرى . وعندما لم أجدها ، ذهبت لأبحث عن السيدة  
جروز ، وأنا أشعر بالتأكيد أن الطفلة لابد أن تكون معها .  
كانت السيدة جروز تجلس كعادتها أمام الفرن فى حجرة  
المطبخ ، وأجابت على سؤالى بهزة خائفة من رأسها .  
فلقد كانت تعتقد أنني أخذت الطفلين معى عندما عدت  
الى حجرة الدراسة بعد الغداء . وكان من الطبيعى جدا  
أن تفكر على هذا النحو ، لقد كانت هذه هى المرة الأولى  
التي أدم فيها فلورا تغيب عن بصرى ، دون ترتيب سابق  
لذلك .

قالت السيدة جروز : « ربما تكون مع الخدم ، ياآنسة  
هل أذهب لأراها ؟ »

— أرجو أن تفعلنى ، وأنا سوف أبحث عنها عند

واجهت البيت . . لابد أن نخفي قلقنا على قدر ما نستطيع .  
سوف نتقابل في الصلاة بعد عشر دقائق !

لكن عندما تقابلنا في الصلاة بالفعل . لم يكن هناك  
شيء لنقوله . وبدأت السيدة جروز في منتهى الجزع  
الآن .

فسألتني : « هل فتشت كل الغرف الموجودة في الطابق  
الأعلى ؟ » . .

فقلت : « أنا لا أظن أنها في البيت . أنها على مائدة  
من هنا . أعتقد أنها خرجت ! » . .  
- خرجت ؟ دون قبعة ؟

- ليست تلك المرأة دون قبعة دائما ؟

- اتظنين أنها معها ؟

فصرخت قائلة : « أنها معها ! لابد أن نبحث عليهما »

كانت يدي فوق ذراع مديقتي ، فجذبتها ناحية الباب  
لكنها تحركت ببطء وسألت : « وأين سيدي مايلز ؟ »

- « أوه ، أنه مع كوينث . من المحتمل أنهما في  
حجرة الدراسة » .

— « أوه . . » ولم تستطع أن تقول المزيد ، وثبتت في مكانها غير قادرة على الحركة .

واصلت كلامي : « لقد أوقعا بي في شرك . نجحت خطتهما . فلقد اكتشف أروع وسيلة لشغلي على حين تكون هي قد خرجت ، »

— أروع وسيلة ؟ !

رددتها السيدة جروز بصوت متحير .

— أو أسوأ وسيلة : والفرصة متاحة له الآن . لكن تعالى !

كانت تتطلع الى أعلى السلم بلا حول ولا قوة : « وهل ستتركينه وحده . . . »

— « وحدد مع كوينت ؟ — أجل . فأننا لايهمنى ذلك الآن ، »

انتهت هذه اللحظات بأن أمسكت بيدي ، وما أن فعلت ذلك حتى منعتنى من التحرك : « لكن لماذا لاتهتمين ؟ هل ذلك بسبب الخطاب . . »

وبدلاً من أن أجيبها تحسست جيبي وأخرجت الخطاب ورفعته أمام نظرها . ثم خلعت نفسي منها واتجهت لأضعه على المنضدة في الصلاة الكبيرة . وقلت وأنا عائدة إليها : « سياخذه المرسال إلى البريد » . . . وصلت إلى باب الصلاة وفتحته . خرجت ووقفت على السلم الخارجي .

كانت رفيقتي ماتزال مترددة . من قبل كانت هناك العاصفة بالليل ، وانقضى الصباح المبكر ، وبعد الظهر كان الجو كثيباً وحليئاً بالسحب ، نزلت على درج السلم بينما كانت تقف على مدخل الباب . سألتني : « ألن ترتدي معطفك وقبعتك ؟ »

— كلا . فالطفلة خرجت دون قبعة أو معطف . لا أستطيع الانتظار لارتدائهما . . . اذ كنت ستفعلين ذلك . فينبغي علي أن أتركك . ويمكنك أن تبحثي عنها في الطابق العلوي مرة ثانية !

فقلت : « الطابق العلوي ؟ معهما ؟ » . . . واندفعت السيدة جروز لتنزل السلم لتذهب هي .

## - ١٩ -

اتجهنا الى البحيرة مباشرة . وكان الطفلان قد اصطحباني مرة أو مرتين في نزهة بقارب قديم موجود على شاطئ البحيرة كان مخصصا لاستعمالنا .

لم يكن ذلك المكان بعيدا عن البيت ، لكن فكرة انتابتنى بأن فلورا ليست قريبة من البيت . فهي لم تهرب منى من أجل مفامرة بسيطة .

أحيانا كنت أسير أنا وفلورا على ضفاف البحيرة ، ومنذ ذلك اليوم الذى ظهرت فيه الأنسة جيزيل هناك ، لاحظت الاتجاه الذى كانت الطفلة تفضل السير فيه أثناء نزھاتنا . فأسرعت أنا والسيدة جروز الى ذلك الاتجاه .

- نحن نتجه ناحية البحيرة ، ياآنسة . هل تظنين أنها في ...

وانتاب القلق رفيقتى مرة ثانية من جراء الفكرة التى طرأت على ذهنها .

- فى المساء ؟ كلا . لا اظن ذلك . وعلى أى الأحوال فالبحيرة ليست عميقة جدا . أنا اعتقد اننا سنجدها فى المكان الذى راينا فيه الأنسة جيزيل أول مرة . . !

- عندما تظاهرت فلورا بأنها لم ترى . .

- أجل . . وقد كنت دائما على يقين انها تريد العودة الى هناك وحدها . وقد رتب لها شقيقها ذلك بعناية تامة .

توقفت السيدة جروز عن السير ، ووقفت سساكنة :  
« هل تعتقدين حقيقة أن الطفلين يتحدثان عنهما ؟ »

فاجبت على الفور وبكل تأكيد : « انهما يقولان أشياء تصدمنا وتصيبنا بالاشمئزاز لو سمعناهما » .

- واذا وجدنا فلورا هناك . .

- نعم ؟

– فهل تظنين ان الانسة جيزيل ستكون هناك ايضا ؟

– انا متاكدة من ذلك . وسوف ترين ؟

– اوه ، اشكرك !

وبدأت رفيقتى فى البكاء ورفضت ان تتحرك خطوة واحدة . . . وعندما تحققت من ذلك ، مضيت فى طريقى بدونها . لكن فى الوقت الذى وصلت فيه الى البحيرة كانت قد أدركتنى ووقفت خلفى . اعتقد أنها قررت ، انه مهما يحدث من مخاطر ، فمن الأفضل لها ان تواجهها معى افضل من ان تكون وحدها .

وفتشنا فى معظم مياه البحيرة ، لكن لم يكن هناك أى اثر للطفلة على الضففة التى تقف عليها او على الضففة البعيدة . وتطلع كل منا للآخر ، وفهمت مايدور فى ذهنها من خلال عينيها .

هزرت رأسى وقلت : . كلا ، كلا . لم تسقط فى الماء .  
لقد اخذت القارب . .

وتطلعنا الى المكان الخالى المقترض أن يربط فيه  
القارب . ثم أخذنا نتطلع عبر البحيرة مرة ثانية .

سألتنى السيدة جروز : أين القارب اذن ؟

ـ الحقيقة التى تؤكد أننا لانراه ، تثبت أنها قد أخذته  
لقد استعملته لتعبر الى الناحية الاخرى ، ثم عمدت الى  
اخفائه .

ـ هل تعتقدين أن تلك المطفلة . . استطاعت القيام بذلك  
وحدها ؟

ـ هى ليست وحدها ، وفى ظروف مثل هذه لا تكون  
طفلة ، بل تكون امرأة . . وامرأة ناضجة !

واخذت اتطلع بعناية فى أرجاء الضفة الأخرى ، حتى  
اكتشفت مكانا من الممكن اخفاء القارب فيه . فأشهرت  
لرفيقتى الى المكان ، وقلت لها :

ـ هل ترين مكانا صغيرا مكشوبا هناك ؟ انه فى  
الغالب مخبأ بجوار تلك الأشجار التى تقترب من حافة  
المياه . من المحتمل أن يكون القارب هناك !



— لكن اذا كان هو ، فاين الطفلة بحق الله ؟

— هذا بالضبط مايجب أن نصل اليه !

وشرعت في السير تجاه الناحية الأخرى من البحيرة .

سالتني بصوت مضطرب : « هل سندور حول البحيرة

كلها ؟ »

— بالتأكيد . لن يستغرق ذلك أكثر من عشر دقائق .

وبالطبع كان سيستغرق وقتا أطول بالنسبة لفلورا ، لذا

فقد فضلت أن تستعمل القارب .

تبعتنى السيدة جروز ثانية ، وعندما قطعنا منتصف

المسافة توقفت لكي تلتقط أنفاسها . كان مشوارا صعبا

لأن الأرض لم تكن ممهدة والاعشاب قد نمت في المر .

وواصلنا السير بعد عدة دقائق ، وقمت بمساعدتها بقية

الطريق . وعندما وصلنا الى ذلك المكان المكشوف على

الشاطئ رأينا القسارب على الفور ! .. كان مخبأ

وعريوطا الى السور المجاور للماء . وعندما أبصرت

المجدافين السميكين القصيرين وهما موضوعان بنظام داخل

القارب ، تأكدت من أن ذلك يعد عملا مذهلا بالنسبة  
لطفلة عمرها ثمان سنوات ، ومررنا عبر البوابة الموجودة  
في السور وتخطينا الأشجار وصاحت كلانا على الفور :  
« هاهي !! » .

كانت فلورا تقف على مائدة منا فوق العشب وتبتسم ،  
كما لو أن العرض الذي قدمته قد انتهى الآن . لكن الشيء  
التالي الذي فعلته هو أن انحنت وانزعجت حزمة كبيرة من  
العشب الضار - كما لو أنها قد حضرت الى هنا لهذا  
العرض بالذات . . . ووقفت في انتظارنا وهي ماتزال تبتسم  
ونحن في الطريق اليها . ثم تقابلنا ، تقابلنا في صمت  
تام !

كانت السيدة جروز هي أول من كسر هذا الصمت .  
فركمت على ركبتيها ، وأحاطت الطفلة بذراعيها  
واحتضنتها بشدة .

ولم استطع فعل شيء والموقف كذلك ، الا أن أراقب  
ما يحدث ؟ راقبته بعناية فلاحظت ان فلورا كانت تنظر الى



مباشرة من فوق كتف رفيقتى • كان وجهها جادا فى تلك اللحظة • • غادرتة الابتسامة • وجعلنى ذلك احسد السيدة جروز على علاقتها البريئة بالطفلة •

وطوال ذلك الوقت لم تقل كلمة • لكن النظرات المتبادلة بينى وبين فلورا افضحت بوضوح تام ان كل المبررات لافائدة منها الآن ، وأخيرا نهضت السيدة جروز وظلت ممسكة بيد الطفلة ووقفت الاثنتان قبالتى •

كانت فلورا هى أول من تكلم • نظرت الى رأسىنا العاريتين وقالت فى دهشة مفاجئة : « غير معقول ، أين قبعاتكما ؟ »

فاجبت على الفور : « انهما فى البيت • • أين قبعتك ، فى تلك اللحظة عادت اليها سعادتها ثانية ، وارضاهما هذا الرد • فواصلت كلامها : « وأين مايلز ؟ »

كان ذلك السؤال من قبلها بمثابة دعوة للمقاتلة ، وومضت هذه الكلمات وكأنها سيف مشرع بالنسبة لى • وشعرت بحمل ثقيل من القلق ينتفض من فوق كتفى حتى قبل ان أجيب : « ساقول لك ، لو أنك قلت لى • • • »

ولسبب ما توقفت عن الكلام . وساللتني :

— أقول لك ماذا ؟ !

ورأيت مسحة من الخوف على وجه السيدة جروز ،  
لكن المسألة لم تعد تحتل الصبر أكثر من ذلك . فكان علي  
أقول لها :

— فلورا ، أين الآنسة جيزيل ؟ !



## - ٢٠ -

كانت هذه هي المرة الأولى التي نكر فيها ذلك الاسم بيني وبين الطفلة . وبدأ وقع ذلك مثل تهشم لسوح من الزجاج . كما بدت فلورا كما لو أنني ضربتها في منتصف جبهتها . وندت عن السيدة جرور صرخة عالية - مثل صرخة انسان جريح ، واكمل ذلك بصرخة منى بعد لحظات . قبضت على ذراع صديقتي وقلت : « انها هناك هناك !! »

كانت الأنسة جيزيل تقف على الضفة المقابلة للبحيرة تماما مثلما كانت تقف في المرة الأولى . واذكر ، ان اول احساس انتابني كان الخساسة بالفرح . . بالفرح لأنني أخيرا قد وصلت الى برهان ، فلقد كانت هناك ، وهكذا فانا على صواب . . ولست بمعجونة أو متهورة . كانت

تقف هناك حتى تراها السيدة جروز المذعورة البائسة ؛  
لكن أغلب الظن انها كانت هناك من أجل فلورا . . . كانت  
لحظة غير عادية بالنسبة لى . . . لأننى لم استطع مقاومة  
ارسال رسالة شكر صامتة عبر الماء الى شبح تلك المرأة  
الشاحبة المخيفة !

كانت تقف مباشرة على الجزء المقابل لضفة البحيرة  
التي غادرناها منذ قليل فقط انا والسيدة جروز . وتطفع  
كل بوصة من شكلها وحجمها بالشر . . الشر القام ! . .  
رايت كل ذلك خلال لحظات قليلة . كانت السيدة جروز  
تطلع اثناءها ببلاهة الى المكان الذى اشرت اليه .  
وأعتقد بالطبع ، انها رأت حازيته . وكان كل اهتمامى  
ينصب أساسا على فلورا . كنت أريد أن أعرف كيف كانت  
مستعامل مع اكتشافى لسرها .

لكننى صدمت عندما نظرت الى الطفلة . كنت أتصور  
انها ستبدو مضطربة أو خائفة لكن لم يبد عليها شيء من  
ذلك . كان تعبير وجهها يظهر فقط انها فاقدة لمشاعرها  
تماما . ولم تكن تود بالطبع أن تكشف لنا عن المزيد من



اسرها اكثر مما عرفناه بالفعل ، ولذلك فلم اكن على استعداد لتلقى احدى ومضاتها السريعة التي تخرج من مينيتها . وقفت هناك دون أدنى حركة من وجهها المتورد الصغير ، ولم تهتم حتى لتتأمل اللحظة الى الزائفة الموجودة على الطرف الآخر من البحيرة .

بدلا من ذلك ، اخذت تنظر الى بقسوة شديدة - بتعبير كان جديدا تماما . . . كانت نظرة قاسية بدا منها انها تعرفنى ، وانها تتهمنى ، وانها تصدر على حكما ، كل ذلك فى نفس الوقت . . . كانت نظرة ، تبدلت الطفلة من خلالها لتصبح شخصا آخر مخيفا . وادمشنى انها لم تكن مهتمة بالآنسة جيزيل ، وخاصة عندما تأكدت انها تستطيع ان ترى شخصها الكريه بوضوح تام .

صحت قائلة : انها هناك ، انت ايتها الشئء الصغير التعس . . . انها هناك ، وبامكانك ان ترينها مثلما تريننى تماما !

كنت قد قلت للسيدة جروز من قبل ان فلورا لاتكون طفلة فى هذه الاوقات ، لكنها تصبح كامراة ، امراة

ناضجة . وهذا الوصف كان ينطبق تماما على الحالة التي بدت فيها والطريقة التي كانت تنظر بها الى . تجاهلت كلماتي وكذلك اصبعي الذي يشير . ورمقتني بنظرة كراهية عميقة جدا . وظل هذا التعبير على وجهها .

ولقد صدمت هذه المرة من تصرفات فلورا ، اكثر من اى مرة سابقة ، وحتى تزداد الأمور سوءا فقد كان على أن اتعامل مع انفجارية صدرت من السيدة جروز فجأة . فلقد احمر وجهها وبدا كماً لو أنه يملأ المكان امامي . وسمعت صوتها عاليا معترضا : - ماهذه الصدمة القظيعة التي سببتها لى ، ياآنسة ، بحق الله ، أين ذلك الذي تريته ؟ ،

ولم أستطع الا أن اضغط أكثر على ذراعها ، لأنها اثناء ما كانت تتكلم كان شبح الأنسة جيزيل القبيح يقف واضحا دون خوف . لقد رأيته بالفعل لمدة دقيقة ؛ وظل باقيا اثناء كلامي وحتى اشرت بأصبعي وصححت : الا ترينها بالضبط كما رأيناها ؟ هل تعنين انك لا ترينها . . ولاحتى الآن ؟ انها ضخمة كالسفينة الحربية ! انظري ، ياعزيزتى ، انظري . . . !

ونظرت مثلما فعلت أنا ، لكنها هزت رأسها ، وصدر عنها صوت يعبر عن الفشل واليأس والرتاء .. الرثاء من أجلى ! .. وكنت اعتقد انها ستكون سعيدة لمعاونتي لو كان في مقدورها ذلك . وكنت في هذه اللحظة في أمس الحاجة الى عون على قدر ما يمكن .. لكن ثبت بالقطع .. ثبت انه ليس لديها القدرة اللازمة لرؤية الأشباح الشريرة : وأصبح موقفى تجاهها ضعيفا جدا . وتصورت أن الأنسة جيزيل قد تحققت من هزيمتى أو عرفت ، كما عرفت أنا ، أن مشكلتى أصبحت الآن مشكلة مزدوجة كما كانت من قبل . فقد أصبح من المحتم على أن اتعامل فلورا ومع مايلز على انفراد تماما .

لم تضيق السيدة جروز وقتا فى كشف ابعاد المسألة بالنسبة لى - وبالنسبة لفلورا فقالت : « انها ليست هناك ياسيديتى الصغيرة ، ولايوجد أى أحد هناك .. . وأنت لم ترى أى شىء أبدا ، هل رأيت ، ياعزيزتى ؟ كيف يتسنى للأنسة جيزيل المسكينة .. أن تظهر ثانية بعد أن ماتت ودفنت ؟ نحن نعرف ذلك ، اليس كذلك ياعزيزتى ؟ » وأخذت الطفلة بين نراعيها ثانية . وقالت : « الأمر كله مجرد

خطا وازعاج ونكتة .. وسوف نعود الى البيت بأسرع ما يكون ! ،

وافقت الطفلة بسرعة ووقفت الاثنتان متحالفتان ضدى . ولم يتغير تعبير فلورا تجاهى . وتوسلت الى الله أن يغفر لى مارايتيه : جمالها الطفولى الآخاذ وقد غاب عنها . ولقد قلت ذلك من قبل .. كانت قاسية ، وقبيحة الى حد ما .

وقالت : . أنا لا أعرف ماذا تقصدين ؟ أنا لم أر أى شخص .. لم أر أى شخص إطلاقا ! .. ثم لوت وجهها برمضت قائلا : « انت قاسية .. أنا أكرمك ! »

واحتمت فى السيدة جروز بعد أن قالت ذلك الكلام وأخفت وجهها الصغير المبتس فى جونلة السيدة جروز الفضفاضة . ومن خلال الجونلة صدر عنها بكاء مكتوم يائس وأخذت تصرخ : « خذينى بعيدا .. أود خذينى بعيدا . عنها ! »

فقلت لاهثة : « بعيدا عني ؟ »

فصاحت باكية : « بعيدا عنك - بعيدا عنك ! »

واكتسى وجه السيدة جروز بمسحة من الخجل بسبب ذلك . ولم أستطع فعل شيء سوى أن أدير رأسي ثانية تجاه شبح المرأة على الضفة المقابلة . كانت ماتزال تقف هناك دون حركة ، كما لو أنها تنصت الى اصواتنا . عندئذ تيقنت أن ظهور الأنسة جيزيل بالنسبة لى ، وعدم ظهورها التام بالنسبة لسيدة جروز ، يحمل نفس النتيجة بالضبط ، وهو تحطم كل آمالى فى انقاذ فلورا . لقد كانت الطفلة تتحدث وكان كل كلمة من كلماتها الصغيرة التى تحمل روح الكراهية ، آتية عبر البحيرة . هززت رأسي بحزن وقلت : « لقد فقدتك يا فلورا .. ربما كانت تراودنى الشكوك بخصوص ذلك فى الماضى ، لكنها الآن قد ولت . لقد تدخلت فى خطتها » .

ثم تطلعت عبر الماء الى تلك الشاهدة الشريرة ، وواصلت كلامي : « لقد دلتك على أسهل وأكمل أسلوب لكى تهزمى أسلوبى . لقد بذلت حافى وسعى لأنقذك ، لكننى فشلت . وداعا ! » ..

التفت الى السيدة جروز وصحت فيها: «هيا ، اذهبي» .  
كانت مضطربة جدا واحسنت تماما بان هناك شيئا خطيرا  
قد حدث . لكنها اخذت الطفلة الصغيرة وعادت من نفس  
الطريق الذي جئنا منه ، وبأسرع ماتستطيع .

لا اعرف بالضبط ماذا حدث لي اولا بعد ان تركاني .  
لكن بعد ربع ساعة شبعرت فجأة انتسى بردانة ومبتلة  
ووجد تنفسي منطرجة على وجهي فوق الأرض . لا بد اننى  
القيت بنفسى على الأرض واخذت ابكى وابكى . ويبدو  
اننى ظلمت كذلك ابكى لفترة طويلة . عندما نهضت اخيرا  
كان الظلام على وشك ان يخل . تطلعت الى البحيرة  
الرمادية . وسرت ببطء هائدة الى البيت .

عندما وصلت الى البوابة الموجودة فى السور ،  
دهشت لاكتشافى ان القارب اختفى ، اذن فقلورا ما زالت  
تدير الأمور ! قضت الليل مع السيدة جروز ، اعتقد على  
الأقل انها فعلت ذلك ، رغم اننى لم ار ايا منهما اثناء  
عودتى .

اما مايلز فقد كان معى لفترة لباس بها من المساء ،

وحقيقة فقد بقي ذلك المساء فترة أطول مما كان يقضيها  
معي عادة من قبل . عندما عدت الى البيت ، لم أبحث  
عنه . ذهبت مباشرة الى غرفتي لأغير ملابسي ، فلاحظت  
على الفور أن حاجيات فلورا قد أخذت من الحجرة . بعد  
ذلك تناولت الشاي كالعادة بجوار مدفأة حجرة الدراسة .  
ولم أسأل الخادمة التي أحضرت الشاي عن غياب  
الطفلين ، فمایلز قد حصل على حريته الآن . . . وبإمكانه  
أن يتحصل على الكثير منها كما كان يريد .

لكن لا يبدو أنه يريد الكثير جدا . إذ عاد الى حجرة  
الدراسة حوالي الساعة الثامنة وجلس معي في صمت .  
في ذلك الوقت كنت قد أطفأت المصباح وقريت مقعدى الى  
جوار المدفأة . كنت أجلس في الظلام مع افكارى عندما  
حضر . جلس معي ، وكنت أشعر تماما أنه كان يود أن  
يكون معي .





فى صباح اليوم التالى حضرت الى حجرة نومي  
السيدة جروز مبكرا وكانت تحمل انباء سيئة . . يبدو ان  
فلورا مريضة . تزايدت عليها الحمى اثناء الليل وابقتها  
متيقظة ، بكت كثيرا ، لم تكن على الاطلاق مشغولة بافكار  
الآنسة جيزيل ، انما كان كل ماتريده ان تظل بعيدة عنى !  
نهضت على الفور وبدأت اوجه بعض الاسئلة . بعد ان  
تبين لى ان السيدة جروز كانت على استعداد تام للجابة  
عليها .

- هل مازالت تقول انها لم تر احدا ابدا او اى شىء ؟

- لا اعرف ، يا آنسة . فانا لم اسالها ثانية عن ذلك

. . اعتقد انه ليست هناك حاجة لذلك . فلقد انهكها ذلك

تماما !

— أوه ، أنا أعرف الشكل الذى تبدو عليه ، وأعرف كذلك الأسلوب الذى تسلكه . إنها متضايقة ، بنفس القدر الذى يكون عليه انسان يشعر بأهميته ، لأننى قد شككت فى ثقتها بنفسها وشخصيتها . وحقيقة أنا مازلت أشك فيها كثيرا جدا . وأنا لا أعتقد أنها ستحدث الى ثانية على الإطلاق .

لم تفهم السيدة جروز ما قصدته تماما ، فلم تقل شيئا للحظة ، ثم اتفقت معى تماما فى النقطة الأخيرة وقالت : حقيقة ، يا أنسة ، أعتقد أنها لن تفعل ذلك أبدا . فهى معتزة بنفسها !

قلت بوضوح : « هذه هى مشكلتها الرئيسية الآن ،

— أنها تصالنى كل بضع دقائق . عما اذا كنت أظن أنك ستأتين الى الحجرة ؟ »

— فهمت ..

— هل قالت لك كلمة واحدة عن الأنسة. جيزيل منذ

أمس ... فيما عدا أنها لم ترها أبدا أو تفكر فيها ؟

- ولا كلمة ، يا أنسة . وانت تعرفين بالطبع اننى  
صدقتها بالأمس عند البحيرة ، حيث - لم يكن يوجد أى  
أحد هناك ؟

- نعم . بالطبع ، أعرف ! ومن الطبيعى أن تظلى  
تصدقينها .

- وماذا عسائى أن الفعل غير ذلك ؟

- لاشيء على الإطلاق ! فانت تتعاملين مع أنسانة  
صغيرة ماهرة جدا ، وصديقاها المتوفيان جعلها أكثر  
مهارة مما يمكن أن تفعله الطبيعة . ان فلورا الآن لديها  
ما تشكر منه . وسوف تستغل ذلك جيدا حتى النهاية !

- أجل ، يا أنسة ، لكن ماذا ستكون النهاية ؟

- « ان يخبرا عمهما عن كل شيء - وعنى  
سيقولان عنى اننى أصموا » .

ويبدو ان السيدة جروز تخيلت الطفلين . وهما يخبران  
عمهما . . وانعكس هذا المشهد على تعبيرها : « لكن هو  
له رأى ممتاز فيك ، يا أنسة » !

— فلورا تريد التخلص حتى ، بطبيعة الحال .

فوافقتنى : بل انها لا تريد حتى ان تنظر اليك ثانية !

سألتها : « هل ذلك ما حضرت لتقولي به لى ؟ — والله  
يتحتم على ان ارحل على الفور ؟ » .. وقبل ان تتمكن  
من الاجابة اكملت : « ان لدى فكرة افضل . فكرت فيها  
اثناء الليل .. يوم الأحد الماضى فكرت انه قد يكون من  
الأفضل بالنسبة لى ان ارحل .. وكنت على وشك ان افعل  
ذلك .. لكن ذلك لن يفيد فى شيء انه انت التى يجب ان  
تذهبى . يجب ان تأخذى فلورا » .

تعبرت الأمر وسألت : لكن الى أين ... »

— بعيدا عن هنا . بعيدا عنهما . بعيدا .. وبغض  
النظر عن موقفى . تأخذنيها مباشرة الى عمها .

— لكنها سوف تخبره فقط بـ ...

— دعنيها تفعل . يجب ان تتركينى هنا مع علاجى

نظرت الى فى ربيه : « وما هو علاجك ؟ »

– ولاؤك لى .. ذلك أول شيء . ومايلز بعد ذلك .

– ألا تظنين أنه لن ينقلب عليك إذا اتيتك له  
الفرصة ؟

– نعم . مازلت أفكر فى ذلك . على أى الأحوال ، أنا  
أريد أن أحاول .. أذهبى مع اختك يا سسرع مايمكن ،  
واتركينى معه وحدى !

ظلت مترددة لكنها لم تقل أى شيء يعارض فكرتى .  
واصليت كلامى : « بالطبع ، لابد أن يرى كل منهما  
الآخر ولو مجرد لحظات قبل أن تذهب » .

عندئذ اتضح سبب تردد السيدة جروز لأن الطفلين  
كانا قد تكلما مع بعضهما بعد أن عادت فلورا من البحيرة ،  
وبالتالى فإن ما عرضته لم يكن له فائدة ترجى .. فسألتها  
بصوت قلق : « هل تعنين أن الطفلين قد تقابلا بالفعل ؟ »

احمر وجهها مرة ثانية : « أه ، يا آنسة ، فانا لست  
على هذه الدرجة من الحماسة : فعندما كان يتحتم على أن  
اتركها لمدة ثلاث أو أربع دقائق ، كنت أطلب من إحدى

الخدمات أن تبقى معها • حاليا هي في الغرفة وحدها  
ولكنني أغلقت الباب • أنا أفكر في .. ،

– أجل ، في ماذا ؟

– .. في مايلز • هل أنت متأكدة أن كل شيء سيكون  
على مايرام ؟

– أنا لست متأكدة بخصوص أي شيء فيما عداك  
انت • لكنني أصبحت أكثر تفاؤلا منذ مساء أمس • لأنني  
اعتقد أنه كان يريد أن يقول لي شيئا • فقد جلس معي  
مدة ساعتين مساء أمس أمام مدفاة حجرة الدراسة ،  
وساعتها كنت اعتقد أنه سيتكلم •

تطلعت السيدة جروز عبر النافذة إلى ضوء النهار  
الرمادي ثم قالت : « لكنه لم يقل أي شيء » •

– « كلا • لم يقل • رغم أنني انتظرت وانتظرت •  
لكنني لم استطع الانتظار أكثر من ذلك • ينبغي أن أتيح  
له فرصة أكثر قبل أن أسمح لعمه أن يراه • خاصة إذا  
أخذت فلورا إلى شارع هارلي • »

وظلت غير مستطبعة ان تتفق معى تماما فسالته :

— ما الذى تقصدينه بفرصة اكثر ؟

— فى خلال يوم أو يومين • أعتقد انه سيكون على استعداد للكلام معى • • وعندئذ سيكون فى صفى • وذلك شىء مهم جدا ، اليس كذلك ؟ واذا لم يحدث شىء • • • فبالطبع سأفشل • وأنت لن تقدمى على فعل أى شىء خطأ ، بل سوف تصاعدينى بأن تفعلى أفضل ما تستطيعين فى لندن .

ولم تستطع السيدة جروز أن تقرر ، وكان على أن أوجه إليها سؤالاً آخر : « قولى لى ، الا تؤدين حقيقة أن تذهبى ؟ »

أفصحت ملامحها عن الرضا فى الحال ، ومدت الى يدها وقالت :

— سأذهب • • سأذهب سأذهب هذا الصباح !

— « اذا كنت تؤمين البقاء قليلا ، فاننا أعدك بالأترانى فلورا » •

- كلا ، كلا !

ونظرت الى بعينين مثقلتين وواصلت كلامها : « فكرتك  
هى الفكرة الصائبة . وبالنسبة لى ، يا آنسة .. »

- ماذا ؟

- لا أستطيع البقاء !

رماقتنى بنظرة مخيفة حتى اننى فكرت توا فى مخرج  
جديد .

- هل تعنين انك قد رايتها فعلا أمس ؟ !

هزت رأسها : « كلا ، لكنى سمعت ... »

- ما الذى سمعته ؟

- سمعت أشياء مرعبة جدا ، يا آنسة .. من تلك

الطفلة ! وبشرفى هى تقول أشياء ...

لكن السيدة جروز ، لم ترغب ، أو لم تستطع ان تقول  
لى ما قالتها فلورا . جلست غارقة فى احد المقاعد وانفجرت  
فى فيض من الدموع .





وانفجرت في فيض من الدموع !

. انتظرت لبضعة دقائق ثم سألتها بهدوء : « هل كانت تتكلم عنى ؟ »

تطلعت الى على وهى تجفف دموعها : « نعم ياآنسة ، كيف عرفت ؟ فلم أكن سأقول لك . قالت كلاما أموا من أى شيء سمعته من قبل . لا أتصور أن فلورا تستطيع قول ذلك . . ولا أتخيل أين تعلمت كل ذلك . . »

- هل تقصدين أنها قالت عنى كلاما قبيحا ؟

ثم قلت بصوت عال : « أنا أعرف من علمها ذلك ! »  
- ومن المحتمل أن أعرف أنا كذلك حقيقة ، ياآنسة .  
لأننى سمعت شيئا منه من قبل ! لكنى لا أستطيع تحميله ، واستدارت السيدة المسكينة تنصرف ونظرت الى ساعتى الموجودة على المنضدة : « يجب أن أعود اليها الآن . »  
- لكن اذا كنت لم تستطعى تحمل ذلك ، فكيف يمكنك البقاء معها ؟

- لكى أبعدها عن هذا المكان فقط ياآنسة ، بعيدا عن هذا المكان . . بعيدا عنهما . . !

— أجل ، أجل : فمن المحتمل أن تكون فلورا مختلفة  
عن مايلز • ربما ماتزال حرة الإرادة !

واحتويتها بنوع من المرح : « إذن فبالرغم مما حدث  
أمس • فأنت تصديقين أن ... »

لم تكن بي حاجة الى أن اكمل الجملة • فقد نطق  
تعبير وجهها قبل أن تقولها : « نعم ، أصدق » !

كنت في منتهى السعادة لسماع تلك الكلمات • وكان  
يكفيني ما تحمله هذه الكلمات من صدق ، ولم أكن لأهتم  
بحدوث أى شيء آخر • وإذا كانت صديقتي على استعداد  
لأن تقسم على صدقي ، فقد كنت على استعداد لأقسم لكل  
الباقيين • لكن وقد قررت الآن أن تذهب الى لندن ، فقد كان  
هناك شيء واحد يقلقني بعض الشيء •

قلت : « لقد تذكرت شيئاً قوا ، لابد أن رسالتى قد  
وصلت الى عمهما ، قبل أن تصلى أنت الى شارع هارلى •  
وسوف يعرف أن هناك شيئاً ما قد حدث » •

كنت على يقين بأن لديها المزيد مما لم تقله لى ، وقد جعلها ذلك فى الحقيقة تبدو مرهقة جدا فقالت: «ببساطة أن خطابك لن يصل الى هناك ، فهو لم يرسل على الاطلاق ! »

— ماذا حدث له إذن ؟

— لا أعرف ، لكن مايلز ...

فقلت بصوت عال : « هل تعنين أنه أخذه ؟ »

ترددت ثم جمعت شتات نفسها واكملت : « .. عندما عدت مع فلورا ، أمس ، لم يكن الخطاب موجودا على منضدة الصالة حيث تركته .. وفى وقت متأخر من المساء سألت المرسال اذا كان قد أخذ الخطاب الى مكتب البريد ، لكنه قال انه لم يكن يوجد خطاب على المنضدة عندما غادر البيت .. وهكذا ترين ، يا انسة .. »

— أجل .. فهمت — لو أن مايلز أخذه ، فلابد أن يكون قد قرأه ومزقه الآن ، ..

— لكن ألا تدركين شيئاً آخر يا آنسة ؟

تطلعت اليها للحظة بابتسامة حزينة : « يدهشنى أن عينيك الآن مفتوحتان أكثر من عينى » .

— فعلاً ، فأنا . الآن أعرف ما قد فعله فى المدرسة .

وهزت رأسها بحزن : « لقد سرق ! »

فكرت فى ذلك : « ربما يكون قد فعل ، لكن ... »

— لكن ماذا ؟ أقصد أنه سرق خطابات .

لم تكن تعرف بالطبع مبرراتى للشك فى أن مايلز قد أصبح لصاً صغيراً وقلت : « أمل أذن أن يكون قد تعلم المزيد من خطابات الناس الآخرين أكثر مما تعلمه من خطابى ! فما ذكرته لأمه كان مقتضياً جداً ، لقد قلت فقط . اننى أريد أن أقابله . لو أن مايلز أخذ الخطاب فعلاً ، فأنا أعتقد أنه يشعر بالخجل التام لأنه فعل شيئاً لم يكسب منه الكثير . وذلك هو السبب الذى جعله يبقى معى طويلاً مساء أمس ! فقد كان يريد أن يعترف » .

وبدا لى كل شىء واضحا فى النهاية . فقلت وانا اقف  
عند باب الحجرة استعجلها فى الانصراف : « هيا ، هيا  
ولسوف يقول لى مايلز . سوف يعترف كلية . لو اعترف  
فسوف ينقذ نفسه ، واذا انقذ ... »

— ستتقذين أنت كذلك . اعتقد ان ذلك ماتقصدينه .

عند ذلك قبلتنى وامسكت بيدي . وقالت وهى تمضى  
الى الخارج : « سوف انقذك بدونك ! » ...

عندما هبطت الى الدور الأرضي ، قالوا لي ان السيدة جروز وفلورا قد غادرتا البيت في العربة . ولم أشعر أبدا بأنني خائفة على هذا النحو ، منذ اليوم الذي جئت فيه الى « بلاي » .

لقد افقدت مديرة البيت بشكل فظيع وفجأة . واصبحت وحيدة وجها لوجه ، فقلت لنفسى ، فلأدع نفسى للأقدار مهما يكن مايسفر عنه . ولعدة مرات طوال اليوم انتابنى احساس بأننى كنت فى منتهى الغباء حتى اترك السيدة جروز ترحل ، خاصة وكما تبين لى الآن ، ماكنت اراه من النظرات الحائرة على وجوه الخدم فقد كانوا يتساءلون بطبيعة الحال عن سبب ماحدث . ولم يكن فى استطاعتنا تقديم مبرر مقنع لرحيل مديرة المنزل والطفلة

هكذا ولجأة • لكن سرعان ما تيقنت أنه يتحتم على الا  
اسمع للخدم بازعاجي ، وأن أفضل شيء لاثبات ذلك ، أن  
اشغلهم على الفور فى شئون البيت •

وهكذا أصبحت فى ذلك اليوم حاسمة جدا مع كل  
فرد فى البيت • أخذت اتجول فى أنحاء البيت لمدة ساعة  
أو ساعتين ، لأرى اذا كنت على استعداد لمقابلة أى نوع  
من المشاكل •

لم أرى مايلز على الإطلاق ، لكن لا بد أنه قد أصبح  
من الواضح تماما لكل من البيت أن هناك تغيرا فى العلاقة  
بيننا • وكان أول يوم من أيام الأسبوع منذ عدة شهور  
تبدو فيه حجرة الدراسة منسية تماما ••

كان قد اختفى تماما عندما هبطت السلم ، وعلمت أنه  
قد تناول الفطاره مع السيدة جروز وأخته فى المطبخ •  
وأخبر الخدم حينئذ أنه سيخرج للتمشى • واعتقد أن  
عبارته « أخرج للتمشى » قد عبرت عن تغير العلاقة بيننا  
بشكل أفضل من أى شيء آخر •



ولم أستطع أن أعرف ما اذا كانت العلاقة بيننا ستصبح مرة أخرى علاقة تلميذ ومربية أم لا ، وكان ذلك بشكل ما أحد أسباب راحتي ، فعلى الأقل أستطيع الآن أن أتوقف عن الادعاء بأنني لا أمثل بالنسبة اليه أكثر من اني مدرسة له فقط . ولقد كان مدركا لذلك وواعيا له ، حتى أنني لم أشعر بأي حرج كبير لمجرد تقديم معيذاتي الحرفية . لكن قدراته الذهنية كانت حقيقة أكبر من قدراتي والأمر على هذا النحو يعد حماقة مني أن أمضي في التفكير في نفس كمدرسة له . حسن ، لقد حصل على حريته الآن ، ولن أتدخل في حياته مرة ثانية . !

على أي الأحوال فقد كنت مشغولة جدا بالمشكلة الرئيسية حتى أقلق نفسي بمشكلة تعليمه ، وتأكدت أن الصعوبة في هذه المشكلة تكمن في اللحظة التي يعود فيها مايكلز للبيت . فبرغم ما حدث أمس ، وبرغم كل ما حدث في الأشهر الأخيرة ، ظل الصبي على نفس الحال ، ظل سلوكه هادئا كالعادة ، وما زال جماله الطفولي موجودا . ولم يبد عليه أي نوع من المعاناة على الإطلاق .

قررت وأخبرت الخدم بأننى سوف أتناول طعام الغداء مع مايلز بصجرة الطعام . . تلك الحجرة التى رأيت فيها كوينت للمرة الثانية مساء يوم أحد منذ فترة طويلة . انتظرت مايلز هناك ، وبينما كنت أنتظره أخذت أفكر فى أحسن طريقة للتعامل معه . وتفتح ذهنى على شيء ، لو اننى كنت أريد أن أحفظ توازنى ، فينبغى على أن أطرد الحقيقة من ذهنى ، الحقيقة التى تتلخص فى أن كل تلك الأمور ضد الطبيعة . وباستطاعتى أن أتعاش معها وأتعامل مع هذه الأشياء المزعجة وكأنها أشياء خير عابية وغير مبهجة - مجرد أشياء متعبة سرعان ما تزول . ولا بد أن تغلب عليها ويصبح كل شيء على مايرام مرة ثانية !

حضر مايلز الى حجرة الطعام ، وقف ويدها فى جيوبه . كان الطعام على المائدة ، والخدم قد عاسوا الى المطبخ . نظر الصبى الى الطعام وكأنه على وشك أن يبدى تعليقا مضحكا عليه . لكن بدلا من ذلك قال :

- هل هى مريضة جدا حقيقة ؟

- فلورا ؟ كلا ، ليست مريضة جدا . سرعان

ماستحسن صحتها فى لندن • فجو « بللى » لا يتفق معها • اجلس وتناول طعامك !

استجاب على الفور ثم واصل كلامه : « لكن هل جو « بللى » أصبح لايتوافق معها هكذا فجأة ؟ »

- ليس هكذا فجأة كما تعتقد • لقد كانت حالتها تسوء منذ فترة !

- اذن لماذا لم ترسلوها من قبل ؟

- قبل ماذا ؟

- قبل أن تصبح مريضة الى هذا الحد ولا تقوى على السفر •

- لكنها ليست مريضة الى الحد الذى يمنحها من السفر • من المحتمل أنها كانت تصبح كذلك لو بقيت هنا • كان ذلك هو الوقت المناسب تماما لسفرتها • • وقد تكون الرحلة بمثابة نوع من التغيير هى فى حاجة اليه • •

- فهمت • فهمت !

جلس ليتناول طعامه بسلوكه المتميز بأداب المائدة ،  
الذي اتسم به منذ عودته من المدرسة • حتى أنني توصلت  
الى انه مهما كان سبب طرده من المدرسة ، فلن يكون  
بسبب اسلوبه الرديء فى تناول الطعام • لكنه اليوم انما  
تناول الطعام ، كان يبدو عليه انه يفكر بعمق اكثر مما  
ياكل • حتى انا اكلت قليلا وسرعان ما ناديت الخدم  
ليرفعوا الطعام •

وعندما كان يجرى ذلك ، وقف مايلز ثانية ويداه فى  
جيوبه وظهره لى • كان يتطلع من النافذة العريضة التى  
رايت كوينت خلالها • لم نقل أى شيء حينما كانت الخادمة  
فى الحجرة ، لكن عندما غادرتها استدار الى وقال :

— حسن ، ها نحن وحدنا !!

## - ٢٣ -

أجبت : أوه ، ليس تماما لا يبدو كذلك !

ولاحظت أن ابتسامتي ليست مشرقة تماما .

- كلا . . . اعتقد ذلك فعلا فالآخرون بالطبع مازالوا

هنا .

وافقته على كلامه : « أجل بالطبع ، فالآخرون مازالوا

هنا » .

فقال : « لكن رغم أنهم هنا ، فإن وجودهم ليس له

أهمية ، اليس كذلك ؟ »

- أوه ، ذلك يتوقف على ما تقصده بكلمة « أهمية » !

- أجل ، أجل . . . كل شيء يتوقف على شيء ما ! ،

التفت ناحية النافذة مرة أخرى ثم اتجه ببطء ناحيتها وهو غارق في التفكير . ثم أخذ يضغط أنفه على زجاج النافذة ، متطلعا الى الأشجار المجردة من أوراقها في شهر نوفمبر . التقطت قطعة من شغل الابرّة كنت أعمل فيها ، واتجهت صوب كرسي مريح . كانت تلك هي إحدى اللحظات التي وصفتها من قبل . . . سيكون قريب . . . وصمت . وكنت على يقين تماما بأن كوينت أو الأنسة جيزيل أو كليهما موجودان في الحجرة معنا !

لكن الوضع كان مختلفا هذه المرة . فعندما نظرت الى ظهر الصبي ، طرأت على ذهني فكرة وبالحسّاح . وأصبحت واضحة جدا خلال لحظات . وعرفت أن هناك شيئا غريبا في الحجرة ، لكن مايلز لايعرفه ! فقد انقضت فترة طويلة لم يرى فيها كوينت .

ويبدو أن إطار النافذة العريضة أفصح عن فشله . فشعرت اما أنه عاجز عن الرؤية ، أو أنه في موقف المتعادل ، وأعطاني هذا الاحساس دفعة من الأمل . فقد كنت على يقين أنه كان يتطلع عبر الزجاج الى شيء لم

يستطيع أن يراه . وأن هذه هي أول مرة يعرف فيها مثل هذا القشل . أدى به ذلك الى أن يكون مضطربا ، على ما اعتقد ، رغم أنه نجح فى السيطرة على نفسه . وعندما استدار أخيرا قال ببساطة : « حسن ، أعتقد أنني سعيد لأن « بلأى » يتوافق معى » .

— هذا شيء طيب . . . لقد رأيت الكثير منه فى الساعات القليلة الماضية ، أكثر مما أتيت لك فى الأوقات السابقة . أتمنى أن تكون مستمتعا بنفسك !

— أوه ، نعم ، فلقد تجولت فى أنحاء المكان كله ، سرت آميالا واميالا . ولم أكن بمثل هذه الحرية ! وكان فى الحقيقة يتصرف بشكل رائع وكل ما استطعته أن أسايره .

— وهل تحب المكان هنا ؟

فوقف هناك مبتسما ثم قال كلمتين : « و أنت ، كذلك ؟ » وحمل هاتين الكلمتين من المعانى أكثر مما كنت أستطيع أن أتخيله . وقبل أن أستطيع الاجابة ، واصل كلامه :

« كرم منك أن تبقى هنا ، بالطبع ، رغم أنه قد لا يبدو لطيفاً  
بالنسبة لك . وإذا كنا . أصبحنا وحدنا هنا ، فسوف  
تقضي معظم الوقت وحيدك . أرجو ألا يضايقك ذلك ! »

فصالتة : « يضايقني أن أكون معك ؟ . يا طفلي العزيز ،  
أنا أستمتع بذلك ! ذلك هو السبب في بقائي هنا . »

نظر الى مباشرة ، وكان تعبير وجهه في تلك اللحظة  
جادا ، أجمل تعبير رأيته على وجهه من قبل . وقال : « هل  
بقيت هنا من أجل ذلك فقط ؟ »

ـ « بالتأكيد . أنا باقية هنا بمثابة صديق لك ولأنني  
مهمة بك ، وسأبقى حتى يتم ترتيب شيء ما بخصوص  
مستقبلك ولن يدهشك ذلك . ألا تذكر أنني قلت لك ، عندما  
حضرت اليك وجلست على سريرك ليلة هبوب العاصفة ،  
أنني أريد فقط أن أساعدك ؟ »

ـ أجل ، أجل ! ..

واكتشف أنه من الصعب أن يتكلم بهدوء ، لذا فقد  
تظاهر باننا نمزح : « لكن ذلك ، على ما اعتقد كان لكي  
تقنعيني بأن أفعل شيئا من أجلك ! »



فاعترفت : « فعلا كان ذلك يتضمن أن تفعل شيئا ،  
لكنك لم تفعله » .

قال : « اذكر الآن - فقد اردت مني أن أقول لك  
شيئا » .

- هذا صحيح . كنت أريد منك أن تخبرني بشيء  
ما كان يتعبك .

- أه ، ومازلت تريد أن تعرفي ؟ هل ذلك ما جعلك  
تبقين هنا ؟

كان يتكلم بمرح ، لكنني أحسست يقينا بأن هناك  
منفعة استسلام في صوته . فسررت ذلك أكثر مما اتصور .  
فاجبت : « نعم ، أنا أعترف بذلك . ذلك ما جعلني أبقى  
هنا » .

ظل صامتا فترة طويلة ، فاعتقدت أنه كان سيقول بأن  
ليس هناك شيء يتعبه ، أو أنه ليست لديه النية لكى يقول  
لى أى شيء .

لكنه قال أخيرا : « هل تعنين الآن .. هنا ؟ »

— لن يكون هناك مكان ولا زمان الفضل من ذلك .

تطلع حوله ، كما لو أن هناك شيئاً يربكه ، ثم انتابني احساس غريب أنه كذلك بالفعل ، لأنه كان خائفاً لأول مرة ربما كان خائفاً مني ، وبالتالي فإن هذا يكون أفضل أنواع الخوف . وتساءلت عما إذا كان ينبغي أن اتحدث إليه بقسوة . لكنني لم استطع فعل ذلك ، حتى ولو كنت أرغب في فعله . وفي اللحظة التالية قلت بركة : « انت تريد أن تخرج ثانية ، اليس كذلك ؟ »

— كم أود ذلك ا

ابتسم بشجاعة والنقط قبعتة . وقف هناك يلوى طرف قبعتة بيده بطريقة جعلتني اشعر بالخجل . فلقد أحسست حقيقة بالخجل مما كنت أفعله ، رغم أنني كنت أعرف أن كل تصرفاتي كانت تعجبه . لقد كنت أحاول انقائه ، ولا أستطيع أن أفعل ذلك الا بأن أجعله يدرك فكرة الاثم والشر . كنت أقوم بفعل ذلك الى طفل صغير لاحول له ولا قوة ، أصبح بالنسبة لي بشكل من الاشكال

صديقا ورفيقا رائعا • ولك أن تتصور مدى ما شعرت به  
من خجل •

قال مايلز : « سأخبرك بكل شيء ، أعني سأقول لك كل  
ما ترغبينه • سوف تبقي هنا معي ، وسنكون على مايرام  
وسأقول لك : • سوف أقول لك • لكن ليس الآن ! » • •

وبدا في عينيه ، وربما في عيني أنا أيضا ، علامات  
الآلم والحزن التي كانت قادمة • كان من الواضح تماما  
أنه يخشى على بقدر خشيتي عليه !

سألته : « ولماذا ليس الآن ؟ »

اتجه ناحية النافذة ثانية ، وكان كلانا صامتين • لكن  
بعد مضي لحظة عاد الى بسرعة • وبدأ كما لو أن هناك  
شخصا مهما بالخارج شخصا لا يستطيع أن يجعله ينتظر  
وقال لي : « ينبغي أن أخرج الآن » :

— فلتخرج إذن ، وسوف انتظر ما قد وعدت به • لكن  
في مقابل ذلك ، وقبل أن تخرج ، هناك شيء صغير أود  
أن أعرفه •

ترعد ثم قال : « شيء صغير جدا .. »

– نعم ، شيء صغير جدا فقط من المسألة كلها  
تقول لي ، اذا كنت قد اخذت خطابي من فوق منضدة  
الصلاة بعد ظهر أمس !

لمدة دقيقة لم أستطع معرفة رد فعل تساؤلى هذا . فلقد حدث شيء بدد انتباهى بشكل كبير . فقد قفزت من فوق مقعدى ، وبجركة او حركتين عفويتين أمسكت بمايلز واحتضنته وجعلت ظهره تجاه النافذة وتلفت حولى طلبا للمساعدة . فلقد عاد شبح كوينت للظهور فى هيئة حارس فوق البرج - وكان الشيء الذى رأيته بعد ذلك انه قد وصل الى النافذة . وقف بالقرب من الزجاج ، يتطلع من خلاله بوجهه الشيطانى الشاحب الدنيء !

لا أستطيع وصف مشاعرى . كل ما أستطيع قوله هو اننى توصلت الى قرار سريع جدا وان اقوم بتنفيذه . . . وهكذا وأنا اقف امام تلك الروح الشريرة وجها لوجه ، توصلت الى ان مايلز لاينبغى له ان يراه . كان الأمر

أشبهه بقتال مع الشيطان من أجل روح إنسانية . . وعندما  
تطلعت الى الروح الانسانية التى بين يدي ، رأيت بضع  
قطرات من العرق على وجه الطفل الصغير . ثم سمعت  
صوت الصبى . لم يكن خفيضا ولا واهنا ، انما كان يأتى  
من أغوار حقيقة ، وكانت الكلمات التى سمعتها فى منتهى  
الحلاوة .

— أجل . . لقد أخذته .

تنفست المصعداء وبراحة ومرح . احتويته أكثر بين  
ذراعى حتى أحسبت بضربات قلبه . كانت عينى  
ماتزالان مثبتتين على ذلك الشيء الموجود خارج النافذة  
ورأيته يتحرك الى اتجاه جديد ، قلت ان كوينت يبدو فى  
هيئة حارس ، لكن حركته البطيئة جعلته يبدو وكأنه وحش  
داخل قفص . تجولت عيناها فى أرجاء الحجرة ، ثم توقف  
الشبح ليراقب وينتظر . كنت على ثقة تامة فى تلك اللحظة  
باننى سأهزمه ، ومتأكدة أن مايلز لا يعلم أن كوينت موجود  
هناك ، فواصلت كلامى : « ما السبب الذى جعلك تأخذ  
الخطاب ؟ »



احتویہ اکثر بین نراعی ..

– لأعرف ماقلته عنى •

– اذن فقد فتحت الخطاب •

– نعم • فتحتة !

أبعدته قليلا عنى ، حتى أستطيع رؤية وجهه • كان  
تعبير وجهه يدل على تلاشى كل ما كان يتظاهر به ،

كان مضطربا • لكن الشيء الغريب فى الأمر كله هو  
تأثير اعترافه ، الذى قطع الجصلة بينه وبين كوينت ، ولم  
يعد يستطيع الاتصال مع ذلك الشيء الشرير • كان يعرف  
من ذلك ، ان هناك شيئا غريبا متواجدا ، لكنه لم يكن يعرف  
ماهو • ويبدو انه لم يكن لديه أى فكرة على الإطلاق اننى  
ايضا كنت على وعى بوجود ذلك الشيء الغريب واننى قد  
عرفته • تطلعت ثانية ناحية النافذة – وقد لا يبدو ذلك  
مهما – ولم أجد أحدا هناك • كان الجو صافيا ،  
واختفى كوينت • أحسست باننى قد تغلبت عليه  
ولابد ان أحقق نصرا كاملا • فنظرت الى مايلز ثانية •

– ولم تجد أى شيء ؟



• هز رأسه بحزن : « لاشيء » •

• فقلت بصوت مرتفع : « لاشيء ، لاشيء ! » •

• فكرر : « لاشيء ، لاشيء ! » •

– انن ، ماذا فعلت بالضطاب ؟

– أحرقتة !

– أحرقتة ؟ هل ذلك ماكنت تفعله فى المدرسة ؟

قال ! « فى المدرسة ؟ »

– هل ذلك هو السبب فى طردك من المدرسة ؟ ..

لأنك كنت تأخذ الخطابات أو أشياء أخرى ؟

شعرت بأن وجهى يحمر وتساءلت عما اذا كان من

الغرابية فى شيء أن أوجه مثل هذا السؤال الى انسيان

مذهب – أو لأرى الأثر الذى يحدثه له • شعر بالخزى •

– هل كنت تعرفين اننى طردت من المدرسة ؟

– أجل • أعرف كل شيء عنك !

نظر الى باندهاش شديد لفترة طويلة : « كل شيء ؟ »

- كل شيء . لذا فهل ...

- كلا . انا لم أسرق !

ولاشك ان وجهي قد انباد باننى اصدقته . لكن بعد  
مضى عدة اشهر من التحري ، لم أستطع مقاومة نفسي من  
ان اسأله :

- « اذن ما الذى فعلته ؟ »

تطلع حواليه فى كل ارجاء الغرفة وتنفس بصعوبة  
مرتين أو ثلاثة كما لو انه يعانى الما : « حسن ، كنت انتقل  
كلاما » .

- ذلك فقط ؟

- اعتقدوا ان فى ذلك الكفاية !

- « الانك تنقل كلاما فقط لم يسمحوا لك بالعودة الى  
المدرسة . لايبدر ذلك سببا معقولا تستحق عليه هذا  
العقاب المقاسى ، مثل الطرد » .

بدا لآحيلة له على الاطلاق ولم يحاول تبير ذلك .  
- أعتقد ، أنه لم يكن ينبغي على أن أقول مثل هذه  
الآشياء !

- إلى من كنت تنقل الكلام ؟

حاول أن يتذكر لكنه لم يستطع : « لا أعرف ! »  
وأصبح مستسلما تماما خلال يأسه فابقسم لي . ولو  
أننى كنت أكثر حكمة ، لوجب على أن أتوقف عن سؤاله .  
لكن يبدو أن انتصارى على كوينت ، قد أعمانى - فواصلت :  
« هل كنت تنقل الكلام إلى أى شخص ؟ »  
- كلا ، كان فقط لـ ...

مز رأسه ثانية وقال « لا أذكر أسماءهم »

- هل كانوا كثيرين ؟

- « كلا ... بل قلة . أولئك الذين كنت أحبهم .

كان يقول بعض أشياء لعدة أولاد كان يحبهم ! ولهذا  
لم يسمح له بالعودة إلى المدرسة ! وغدت المشكلة أصعب

بدلاً من أن تكون سهلة • شعرت بالأسف الشديد له ،  
وتساءلت خلال ذلك عما إذا كان حقيقة قد ارتكب أى شيء  
خاطيء • أزعجتني الفكرة • واكتشفت فجأة أنه إذا لم يكن  
مذنبا، فأنا التى سأكون مذنبية! وأصابتنى الفكرة بالوهن ،  
وتركته ليذهب • • ابتعد عني ناحية النافذة ، ولم يكن هناك  
ما أخشى عليه منه •

سألته : • وهل كان هؤلاء الأولاد يرددون ما كنت تقول  
لهم ؟ • ؟

ابتعد عني قليلا • وتطلع حوالىه فى أرجاء الغرفة  
بقلق وهو مازال يتنفس بصعوبة • لكنه أجاب على سؤالى :  
• آوه ، أجل ، لابد أنهم رددوا ما كنت أقوله لهم • رددوه  
الى الأولاد الذين كانوا يحبونهم •

• واكتشف المدرسون ذلك • • على ما اعتقد ؟ !

• نعم ، ولكنى لم اعتقد أنهم سيخبروا أحدا !

• لم يفعلوا • لم يخبرونى بأى شيء على الإطلاق •  
وهذا هو السبب فى اتنى أسألك •

والتفت الى بوجهه الصغير المنفعل : « أجل ، لقد كانوا في منتهى السوء .. في منتهى السوء حتى يكتبوا الى البيت »

لقد كان سماع مثل هذه الكلمات من شخص ما لا يمكن تصديقها . فقلت : « هذا كلام فارغ . أنا لا أصدق ذلك » ومن المحتمل اننى بدوت غاضبة عندما اضفت : « ما هذه الأشياء التى كنت تقولها ؟ »

كان غضبى كله منصبا على المسئولين في المدرسة الذين حاكموه وأدانوه ، وجعلته ذلك يتجه ثانية ناحية النافذة . وجعلتنى هذه الحركة اقفز ثانية تجاهه واحتويه بين ذراعى وأنا أصرخ . فلقد ظهر شبح كوينت المرعب مرة ثانية خارج النافذة ، وكان يضغط بوجهه الأبيض الشاحب القاسى على الزجاج حتى أتوقف عن سؤال الصبى وموقف اعترافاته .

كنت أمسك مايلز بشيء من القوة ، ويبدو أنه تبين الحقيقة ؟ وفجأة أحسست يقينا بأن ذلك وهم .. وأن

الناقذة حازالت امام ناظرية خالية من أى شىء . وهكذا  
كان انتصارى على كوينت كاملا ، وأن مايلز قد أنقذ !  
احتضنته بشدة وصرخت فى الزائر : « كفى ، كفى ، كفى ،

واتجهت عينا الصبى صوب اتجاه كلماتى وسألنى  
وهو يلهث : « هل هى هنا ؟ » .

فأجبت باندعاش : « هى ؟ » .

قصاح بغضب مفاجيء : « الأنسة جيزيل - الأنسة  
جيزيل ! »

أصابتنى دهشة . وأعتقدت أن افكاره قد ارتبطت  
برحيل فلورا ، وجعلنى ذلك أود أن أبين له أن الحقيقة  
كانت أفضل من ذلك ، « انها ليست الأنسة جيزيل ! لكن  
الموجود خارج النافذة . . أمامنا مباشرة . . ذلك المخلوق  
الجبان ! وهو هناك لآخر مرة ! » .

حول رأسه . مثل كلب يتشمم رائحة ما . وبدأ يتطلع  
الى النافذة بنوع من الشراسة ، لكن عبثا ان يعثر على  
شىء . فلم يستطع أن يرى شيئا ، رغم أن الروح الشريرة

كانت تملأ أرجاء الحجرة ، وكانت بالنسبة لى مثل مذاق السم .

وقال وهو يلهث ثانية : « اليس هو ذاك ؟ »

فسأله : « ماذا تقصد . بهو ، ؟ »

- بيتر كوينت .. انت أيها الشيطان !

وأخذ يتطلع ثانية فى أرجاء الغرفة : « أين انت ؟ »

مازال صوته يرن فى اذنى ، عندما قال اسمه ، ولن أنسى ذلك أبدا .

قلت : « لاتخشى شيئا الآن يامايلز ، لن يسبب لك أى شىء أبدا ! .. لقد أنقذتك ، أما هو ... »

والتفت ناحية الوحش الموجود خارج النافذة « ...  
فقد افتقدك الى الأبد ! » . وعندما أجبت على سؤال المصطفى الأخير ، أشرت بأصبعى ناحية وجهه الشيطانى الشاحب .  
« هاهو ، هناك ! » .

وكان مايلز قد استدار بالفعل ، وأخذ يتطلع ويتطلع  
ولم يرى سوى ضوء مابعد ظهيرة يوم من أيام نوفمبر .  
وأزاء اقتقاده لرؤية أى شيء ، والذي كنت لفخرة به  
جدا ، انطلقت منه صرخة عالية طويلة ، كما لو أن أحدا  
دفعه من فوق سحافة عالية . أمسكت به ثانية واحتضنته ،  
لكن بعد مضي دقيقة بدأت أدرك ماكان بين ذراعى . كنا  
وحدنا في ذلك اليوم ، وقلبه الصغير الذي تحرر أخيرا ،  
قد توقف عن البق !!





رقم الايداع ٢٠٠٤/١١٣٥٧

---

I.S.B.N. 977-01-9099-3

مطابع

الهيئة المصرية العامة للكتاب





# مهرجان القراءة للجميع



## مكتبة الأسرة

هذا العام نحتفل ببلوغ مكتبة الأسرة عامها العاشر وقد أضاعت بنور المعرفة جنبات البيت المصرى بأكثر من ١٠ مليون نسخة كتاب من أمهات الكتب فى فروع المعرفة الإنسانية المختلفة.. ومنذ عشرة سنوات تفتحت عيون أطفال كانوا فى العاشرة من عمرهم على إصدارات مكتبة الأسرة وكانت زادهم المعرفى عبر السنوات العشره الماضيه لتلهم فى تلك العقول الشابه الآن نهم المعرفة من خلال القراءة وكنا ندرك منذ البدايه أن المعرفة هى سلاحنا الأسمى لتأخذ مصر مكانتها فى ذلك العالم الجديد الذى تتفوق فيه المعرفة على القوة والمال لأنها تحمل الإنسان الى آفاق لا حدود لها فى عالم متغير شعاره ثورة المعلومات وسرعة تدفقها عبر كل وسائل الاتصال ولم يكن منطقياً أن نقف مكتوفى الأيدي.. فكانت مكتبة الأسرة بكل ما قدمت إسهامه أساسية نستقبل بها ذلك العصر الجديد. عصر المعرفة وأنا لتتطلع فى الأعوام القادمة أن تواصل مكتبة الأسرة ثمارها اليا نعة وتساهم فى التغير المعرفى والتكنولوجى لمعطيات العصر لتفصح المجال لشبابنا أن يشارك بدور فاعل فى تقدم البشرية الجديد لتكون امتداداً حضارياً معاصراً للحضارة المصرية القديمة التى كانت أهم وأقدم الحضارات الإنسانية عبر التاريخ.

سوزانه مبارك

